سلسلة الخلفاء

عَبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّد

أبُو جَعْفَر المَنصُور

(١٣٦ - ١٥٨هـ)

محمود شاكر



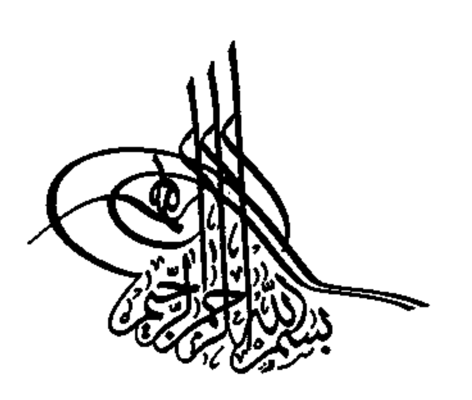
المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب: ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠ (٠٥)
دمشق: ص.ب: ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧
عمان: ص.ب: ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ

أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورُ


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، *أما بعد* :

فإن البناء أمر صعب والهدم أمر سهل. فبناء المنازل والدور والمحلات والقصور يحتاج إلى مهندسين أكفاء ومعماريين مهرةٍ ومشرفين أصحاب خبرةٍ ثم عمّال، على حين أن الهدم لا يحتاج إلا إلى عمّال.

وبناء الدول أشدّ صعوبةً، وأكثر مشقةً، وأكبر عناءً، وأشقّ تحمّلاً، وأعظم صبراً، وأحزم أمراً من بناء القصور مهما اتّسعت ومن بناء القلاع مهما ضخُمت، فالمهندس يجلس في ساعةٍ من صفاء الذهن ونقاء الفكر وراحة النفس ويرسم ويخطّط ويُمكنه أن يمحو ويُبدّل ويُقارن ويُميّز، ويعرض الأمر على غيره ويستشير، أما باني الدولة فيريد أن يُفكّر في أخطر الأوقات، وأحلك الأيام، وأقسى الساعات، وأكثر اللحظات حرجاً فهو من المستشارين في حذر، ومن

القادة في خطرٍ، ومن المقرّبين في تكتُّم، ومن الأقرباء في خوفٍ، فالنفوس المريضة تبرز بعد الظفر، وأصحاب الأطماع يظهرون عند الغُنْم، والغُنْم هنا دَسِم تشرئب إليه الأعناق، وتُسرع إليه الرجال، وتتقاتل عليه الأعيان. يتقدّم الطامعون نحو الغُنْم على حذرٍ، ويدعون لأنفسهم بالسرّ، ويجمعون حولهم الأتباع بالخفاء.

يستشير باني الدولة وربما كان المستشار هو الهدّاف الذي يُوجّه السهام نحو الباني، ويُشرع السيوف عليه، والباني لا يدري يحسن الظنّ بالمستشار، ويحسبه من المخلصين، ويتوقَّع منه الرأي الصواب فإذا النزاع على الغُنْم بينهما.

والمعماري اكتسب خبرةً بما عمل وأخذ شهرةً مما أجاد ويكفي الملاحظة على ما يرى، والمتابعة لما يُبنى أما باني الدولة فإنه يريد إن يستفيد من خبرة البُناة السابقين ويأخذ العبرة ممن بنى وشاد وأسّس وساد، ولكن لقيام كل دولةٍ ظروف، ولكل بانٍ متربصون، وطباعٌ فهو يقبل أموراً ويرفض أخرى لا يُشاركه في ذلك إلا القليل.

وسقوط الدول سهل كهدم البيوت، فإذا كان الهدم لا يحتاج إلا إلى عمَّال فإن السقوط لا يحتاج إلى

أكثر من الإهمال، فإهمال أمور الدولة وتسليمها إلى رجالٍ غير مُزوّدين بالتقوى، غير مُسلّحين بالإيمان، غيرُ مخلصين بالأعمال. واتباع النفس هواها، والسير وراء الشهوة، والسعي خلف المنافع، وترك مسؤولية الرعية، كل هذا يُؤدّي إلى سقوط الدولة. وقد جهد البُناة وتعبوا، وعملوا بالحكمة، واتخذوا الحنكة حتى بنوا، وخلّفوا بناءً قوي البنيان، متين الأركان، رفيع العماد، له مكانته حتى جاء من لا يحسن التدبير، ولا يسعى إلا بما تهوى النفس فتقوَّض البنيان، وزال ما شاده البُناة.

وقامت دولة بني العباس، وكان المسؤول الأول فيها، وهو أبو العباس، منصرفاً إلى تثبيت الدعائم، ووضع الركائز، وتقليم أظافر المخالفين، وخلع أنياب الطامعين، وقلع أركان الخصوم من الجذور، وتمشيط أرض الديار، وجزّ النبتات الطفيلية كلها من مُلكه، هذا حسب تصوّره، ووفق منهجه.

لم يدرِ أبو العباس أن قائده الأول عمّه عبد الله بن عليٍّ يسعى لنفسه ويعمل لسلطانه طمعاً، ولم يعلم أن داعيته الأول أبا مسلم يعمل لنسف الدولة الفتية من الجذور حقداً متأصّلاً في النفس، ولم يبدُ من أحدهما شيء إذ كان كل منهما منصرفاً لتصفية الجيوب

والخلاص من الخصم الذي يظهر على الساحة أما ما في النفوس فلا يعلمه إلا الله.

لم تَطُل خلافة أبي العباس إذ تُوفِّي لثلاث عشرة ليلةً مضت من ذي الحجة سنة ستٍ وثلاثين ومائة، وبذا لم تبلغ خلافته الشرعية أربع سنواتٍ حيث تحسب من مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية لثلاث ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

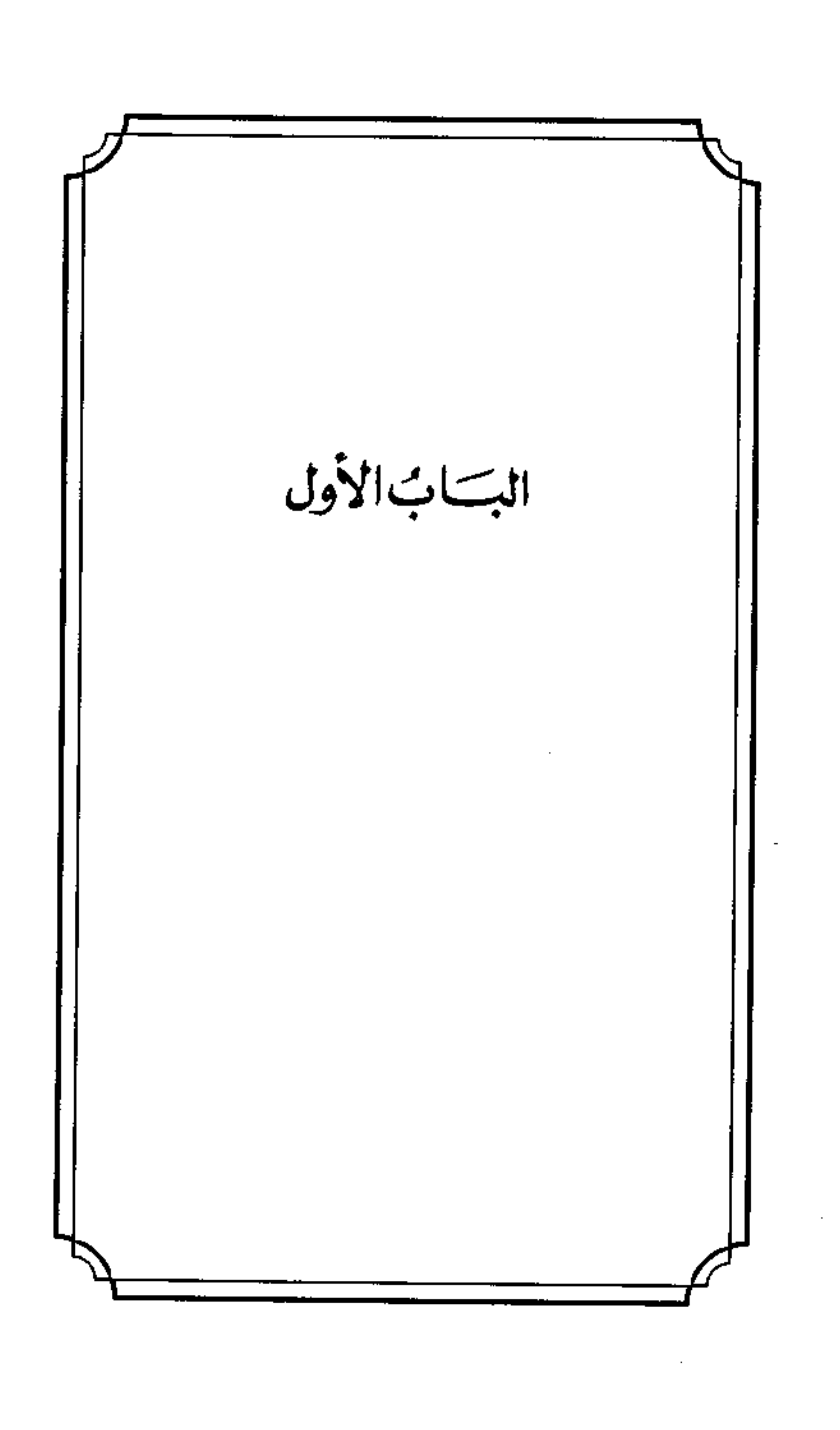
عهد أبو العباس قبل وفاته من بعده لأخيه أبي جعفر المنصور، ومن بعده لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، وما أن توفي أبو العباس، وشاع العهد، وأخذت البيعة لأبي جعفر حتى ظهرت النوايا، وطفا الخبث.

كان على أبي جعفر أن يعمل على بناء الدولة ويجدّ ويجتهد، فنال ما أراد ـ بإذن الله ـ رغم ما لقي من صعوبات، وما وجد من متاعب، وما اعترض سبيله من عثراتٍ.

فنرجو من الله أن نُوفّق في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن هذا الخليفة أبي جعفر المنصور، صورةٍ فيها الحق بما نعتقد، وفيها البعد عن كل ميلٍ أو هوىً إلى أيّ جانبٍ، والله من وراء القصد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرياض: غرة جُمادى الآخرة ١٤٢٠هـ.

محمود شاكر



البَابُ الأول



الفصل الأول

المنصور قبل الخلافة

ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالحميمة سنة خمسٍ وتسعين، فهو أكبر من أخيه أبي العباس بعشر سنواتٍ، كما أنه يحمل اسمه، فكلاهما يحمل اسم «عبد الله»، ويتميّز أحدهما عن الآخر بكنيته، فهذا أبو جعفر، وذاك أبو العباس.

توفي والدهما محمد بن علي سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وعهد بالدعوة من بعده لابنه الأكبر إبراهيم الذي عُرف باسم «الإمام» فقام إبراهيم بالدعوة، ونشط بالعمل مدة سبع سنواتٍ، ثم عُرف أمره، وانتشر خبره، ووصل إلى الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فبعث مروان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتابة إلى نائب البلقاء أن يسير إلى الحميمة، ويأخذ إبراهيم بن محمد ويُوجِّه به إليه.

وحين أُخذ إبراهيم بن محمد للمضي به إلى مروان نعى إلى أهل بيته نفسه حين شيَّعوه، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس، مع العلم أن أبا جعفر أكبر من أخيه أبي العباس، غير أن أمه أم ولدٍ بربرية تدعى «سلامة» وهذا ما أخَّره.

سار أبو العباس عبد الله بن محمد مع اثني عشر من أهل بيته إلى الكوفة عندما أتاهم نعي أخيه إبراهيم بن محمد، وكان أبو جعفر في هذا الركب، وإن كان قد شعر أنه أُخّر عن أخيه الذي هو أصغر منه إلا أنه لا يزال يأمل بأن يكون صاحب المكانة.

دخل أبو سلمة الخلال على المكان الذي أنزل آل العباس به ليُبايع صاحب الأمر، وهو لا يعرفه، إلا أنه يعلم أنه أحد هؤلاء الضيوف، وكان دخوله عليهم بعد أن استولى أبو مسلم على خراسان، وصاح أبو سلمة: يا عبد الله مدّ يدك، فتبارى إليه الأخوان (أبو العباس وأبو جعفر). فقال: أيكم الذي معه العلامة؟ قال المنصور: فعلمت أني أُخّرت، لأني لم يكن معي علامة، فتلا أخي العلامة، وهي: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً . . .﴾[1].

---

(١) سورة القصص: الآية ٥.

ولما بويع لأبي العباس في مسجد الكوفة، وخطب الناس هو وعمه داود بن عليّ، ثم نزلا عن المنبر، ودخل القصر، أمر أبو العباس أخاه أبا جعفر بأخذ البيعة على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلّى بهم العصر، ثم صلّى بهم المغرب، وجنّهم الليل فدخل[1]. وذلك يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

وقد كان أبو جعفر سيفاً بيد أخيه أبي العباس مع سيوف آل العباس من أعمامه، وإخوته، وأبناء إخوته، وكانت هذه السيوف تشرع على خصومهم، وتضرب ما بقي من جذور من سبقهم، لقد وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لقتال يزيد بن عمر بن هبيرة، فسار إلى ما أرسل إليه فحاصر ابن هبيرة، ثم جاءته أوامر أخيه أبي العباس للتحرّك إلى الجزيرة الفراتية، حيث خرج أهلها على العباسيين، وانطلقوا نحو حرّان، وحاصروا موسى بن كعب، وقد كان في ثلاثة آلافٍ من الجند، مرّ أبو جعفر على «قرقيسيا» فأغلق أهلها أبواب المدينة دونه، فسار إلى الرقة فلقي ما لقي في قرقيسيا، ولكنه انتصر أخيراً عليهم.

---

(١) تاريخ الطبري.

وخرج أبو جعفر إلى خراسان ليتعرّف على حقيقة أبي مسلم.

وولي أبو جعفر لأخيه أمر الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان.

وخرج أبو جعفر على الموسم سنة ستٍ وثلاثين ومائة بناءً على أمر أخيه أبي العباس، حتى لا يكون أبو مسلم هو الأمير، وقد أذن له أبو العباس بالحجّ، وأثناء العودة وصل الخبر إليهم بوفاة أبي العباس.

وعهد أبو العباس لأبي جعفر بالخلافة بعده، وقد كان ساعده الأيمن في إدارة شؤون الخلافة.



الفصل الثاني

خلافة المنصور

توفّي أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ستٍّ وثلاثين ومائة، وكانت وفاته فيما قيل بالجدري، وصلّى عليه عمه عيسى بن عليّ، ودفنه بالأنبار في قصره. وكان أبو جعفر المنصور يومها بمكة حاجاً.

وبايع الناس لأبي جعفر بالأنبار في اليوم الذي مات فيه أبو العباس، وكان عيسى بن موسى هو الذي أخذ البيعة لأبي جعفر، وقام أيضاً بأمر الناس، وكتب لأبي جعفر يعلمه بموت أخيه أبي العباس وبالبيعة له، وأرسل الكتاب مع محمد بن الحصين العبدي.

سار محمد بن الحصين العبدي بكتاب عيسى بن موسى إلى أبي جعفر المنصور، فالتقى محمد بن الحصين بأبي مسلم الخراساني وكان حاجّاً مع أبي

جعفر، وقد تقدّمه في طريق العودة ونازلاً على ماء قريباً من «ذات عرق». سلّم محمد بن الحصين الكتاب إلى أبي مسلم، فكتب إلى أبي جعفر: بسم الله الرحمٰن الرحيم. عافاك الله وأمتع بك، أتاني أمر أفظعني وبلغ مني مبلغاً لم يبلغه شيء قطّ، لقيني محمد بن الحصين بكتابٍ من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبي العباس أمير المؤمنين ـ رحمه الله ـ فنسأل الله أن يعظم أجرك، ويُحسن الخلافة عليك، ويبارك لك فيما أنت فيه، إنه ليس من أهلك أحد أشدّ تعظيماً لحقك وأصفى نصيحةً لك، وحرصاً على ما يسرّك مني.

وأنفذ الكتاب إليه، ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد، ثم بعث إلى أبي جعفر بالبيعة، وإنما أراد ترهيب أبي جعفر بتأخيرها.

وقيل: إن أبا جعفر هو الذي كان يتقدّم أبا مسلم، فكتب أبو جعفر إلى أبي مسلم وهو نازل بالماء، فأقبل أبو مسلم حتى نزل عليه، فلما جلس أبو مسلم، ألقى إليه الكتاب، فقرأه وبكى واسترجع، قال: ونظر أبو مسلم إلى أبي جعفر، وقد جزع جزعاً شديداً، فقال: ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة؟ فقال: أتخوّف

شرّ عبد الله بن عليّ[1] وشيعة علي[2]، فقال: لا تخفه، فأنا أكفيك أمره - إن شاء الله - إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان،، وهم لا يعصونني، فسُرِّيَ عن أبي جعفر ما كان فيه، وبايع له أبو مسلم، وبايع الناس،

---

(١) كان عبد الله بن علي يعلم أن بين ابن أخيه المنصور وبين أبي مسلم الخراساني ضغائن تصعب إزالتها، وأن أكثر جيشه من خراسان فهو بجانبه فيمكن أن ينتصر به على المنصور وينازعه الخلافة لذا أخذ البيعة لنفسه، وخلع ابن أخيه، وأعلن العصيان. أما أبو مسلم الخراساني فيريد أن يقلّم أظافر الخليفة العباسي بقتل قادته أمثال عبد الله بن عليّ، ويرغب أن يقصّ أجنحة المنصور بقتل أحد عمومته، ويبغي إيقاع الفتنة بين بني العباس بقتل أحدهم وهو عبد الله بن عليّ بأمر من أحدهم وهو المنصور، ولهذا عرض أبو مسلم نفسه على المنصور لحرب عبد الله بن علي، وهو واثق من النصر وتحقيق هدفه ما دام أكثر جند خصمه من أتباعه هو، وهم جند خراسان.

(٢) شيعة علي: يُثير المتلوّنون شيعة علي على أبناء عمومتهم من بني العباس إذ أن غاية المتلوّنين إضعاف الخلافة، فهم بجانب كل من يقاتل الخلافة، ويعلن عليها الحرب، وخاصة إن كان قوياً، وكلما كان أكثر قوةً وقف المتلوّنون في صفّه بإمكاناتهم كلها، وليس أقدر من شيعة عليّ على منازعة بني العباس، ويجب ألا ننسى أن هناك صلةً سابقةً بين المتلوّنين وشيعة عليّ عندما كانوا يحرّكونهم ضدّ الأمويين ويدعمونهم حقداً وتشفياً من المسلمين.

وأقبلا حتى قدما الكوفة. وردَّ أبو جعفر زياد بن عبيد الله الحارثي إلى مكة، وكان قبل ذلك والياً عليها وعلى المدينة لأبي العباس، وكان أبو العباس قد عزله عنها قبل موته، وولَّاها العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس.

خلاف عبد الله بن علي:

قدم عبد الله بن عليّ على أبي العباس في الأنبار سنة ستٍ وثلاثين ومائة، فعقد له أبو العباس على الصائفة في أهل خراسان وأهل الشام والموصل والجزيرة، فسار فبلغ دلوك[1]، ولم يصل إلى الدرب[2] حتى أتاه خبر وفاة أبي العباس.

وكان عيسى بن موسى قد بعث أبا غسان يزيد بن زياد، وهو حاجب أبي العباس، إلى عبد الله بن عليّ ببيعة أبي جعفر، وذلك بأمر أبي العباس قبل أن يموت حين أمر الناس بالبيعة لأبي جعفر من بعده. فقدم أبو

---

(١) دُلوك: بليدة شمال حلب، قرية من الثغور.
(٢) الدرب: ممر بين طرسوس وبلاد الروم. وقال امرؤ القيس:
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

غسّان على عبد الله بن عليّ بأول الدرب متوجّهاً يريد الروم، فلما قدم عليه أبو غسان بوفاة أبي العباس، وهو نازل بموضع يقال له دُلُوك، أمر منادياً فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع إليه القواد والجند. فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبي العباس، ودعا الناس إلى نفسه، وأخبرهم أن أبا العباس حين أراد أن يُوجّه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بني أبيه، فأرادهم على المسير إلى مروان بن محمد، وقال: من انتدب منكم فسار إليه فهو ولي عهدي، فلم ينتدب له غيري، فعلى هذا خرجت من عنده، وقتلت من قتلت. فقام أبو غانم الطائي وخُفاف المروروذيّ في عدة من قواد أهل خراسان فشهدوا له بذلك، فبايعه أبو غانم، وخُفاف، وأبو الأصبع وجميع من كان معه من أولئك القادة، فيهم: حميد بن قحطبة، وخُفاف الجرجاني، وحيَّاش بن حبيب، ومخارق بن غِفار، وتُرار خدا، وغيرهم من أهل خراسان والشام والجزيرة، وقد نزل تل محمد، فلما فرغ من البيعة ارتحل فنزل حرّان، وبها مقاتل العكيّ ـ وكان أبو جعفر استخلفه لما قدم على أبي العباس ومن عنده سار إلى الحج ـ فأراد مقاتلاً على البيعة فلم يُجبه، وتحصّن منه، فأقام عليه وحصره حتى استنزله من حصنه فقتله.

وسرَّح أبو جعفر لقتال عبد الله بن عليّ أبا مسلم، فلما بلغ عبدَ الله إقبالُ أبي مسلم أقام بحران، وقال أبو جعفر لأبي مسلم: إنما هو أنا أو أنت، فسار أبو مسلم نحو عبد الله بن عليّ بحران، وقد جمع إليه الجنود والسلاح، وخندق وجمع إليه الطعام والعلف وما يصلحه، ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار، ولم يتخلَّف عنه من القواد أحد، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعيّ، وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة، وكان حميد قد فارق عبد الله بن عليّ، وكان عبد الله أراد قتله، وخرج معه أبو إسحاق وأخوه، وأبو حميد وأخوه وجماعة من أهل خراسان، وكان أبو مسلم استخلف على خراسان حيث شخص خالد بن إبراهيم أبا داود.

قال الهيثم: كان حصار عبد الله بن عليّ مُقاتلاً العكيّ أربعين ليلةً، فلما بلغه مسير أبي مسلم إليه، وأنه لم يظفر بمقاتل، وخشي أن يهجم عليه أبو مسلم أعطى العكيّ أماناً، فخرج إليه فيمن كان معه، وأقام معه أياماً يسيرةً ثم وجَّهه إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي في الرقة ومعه ابناه. وكتب إليه كتاباً دفعه إلى العكيّ، فلما قدموا على عثمان قتل العكيّ وحبس

ابنيه، فلما بلغه هزيمة عبد الله بن عليّ وأهل الشام بنصيبين أخرجهما فضرب أعناقهما.

وكان عبد الله بن عليّ قد خشي ألا يُناصِحه أهل خراسان، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، أمر صاحب شُرطه فقتلهم، وكتب لحميد بن قحطبة كتاباً ووجَّهه إلى حلب، وعليها زُفَر بن عاصم، وفي الكتاب: إذا قدم عليك حميد بن قحطبة فاضرب عنقه، فسار حميد حتى إذا كان ببعض الطريق فكَّر في كتابه، وقال: إن ذهابي بكتاب ولا أعلم ما فيه لغَرَر، ففكّ الطومار فقرأه، فلما رأى ما فيه دعا أُناساً من خاصَّته فأخبرهم الخبر، وأفشى إليهم أمره، وشاورهم، وقال: من أراد منكم أن ينجو ويهرب فليسر معي، فإني أريد أن آخذ طريق العراق، وأخبرهم ما كتب به عبد الله بن عليّ في أمره، وقال لهم: من لم يُرد منكم أن يحمل نفسه على السير فلا يفشينّ سري، وليذهب حيث أحبّ.

قال: فاتبعه على ذلك ناس من أصحابه، فأمر حميد بدوابّه فأُنعلت[1]، وأنعل أصحابه دوابّهم،

---

(١) نعل الدابة: ما ولي به حافرها وخفّها، وأنعل الدابة: وضع لها ذلك النعل.

وتأهّبوا للمسير معه، ثم فوّز[1] بهم، وبهرج الطريق[2] فأخذ على ناحيةٍ من الرصافة، رصافة هشام بالشام، وبالرصافة يومئذٍ مولى لعبد الله بن عليّ يقال له سعيد البربري، فبلغه أن حميد بن قحطبة قد خالف عبد الله بن عليّ، وأخذ في المفازة، فسار في طلبه فيمن معه من فرسانه، فلحقه ببعض الطريق، فلما بصر به حميد ثنى فرسه نحوه حتى لقيه، فقال له: ويحك! أما تعرفني! والله مالك في قتالي من خير فارجع، فلا تقتل أصحابي وأصحابك، فهو خير لك. فلما سمع كلامه عرف ما قاله له، فرجع إلى موضعه بالرصافة، ومضى حميد ومن كان معه، فقال له صاحب حرسه موسى بن ميمون: إن لي بالرصافة جاريةً، فإن رأيت أن تأذن لي فآتيها فأوصيها ببعض ما أريد، ثم ألحقك، فأذن له فأتاها، فأقام عندها، ثم خرج من الرصافة يريد حميداً، فلقيه سعيد البربري مولى عبد الله بن عليّ، فأخذه فقتله. وأقبل عبد الله بن عليّ حتى نزل نصيبين، وخندق عليه.

وأقبل أبو مسلم. وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة ـ وكان خليفته بأرمينية ـ أن يُوافيَ أبا مسلم،

---

(١) فوّز: سلك المفازة.

(٢) بهرج الطريق: سار في طريق غير مسلوك.

فقدم الحسن بن قحطبة على أبي مسلم وهو بالموصل، وأقبل أبو مسلم، فنزل ناحيةً لم يَعْرِض له، وأخذ طريق الشام، وكتب إلى عبد الله: إني لم أؤمر بقتالك، ولم أُوجّه له، ولكن أمير المؤمنين ولّاني الشام، وإنما أريدها، فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام لعبد الله: كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا، وفيها حرمُنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا، ويسبي ذرارينا، ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حَرَمنا وذرارينا ونقاتله إن قاتلنا، فقال لهم عبد الله بن عليّ: إنه والله ما يريد الشام، وما وُجّه إلا لقتالكم، ولئن أقمتم ليأتينّكم. قال: فلم تطب أنفسهم، وأبوا إلا المسير إلى الشام.

قال: وأقبل أبو مسلم فعسكر قريباً منهم، وارتحل عبد الله بن عليّ من عسكره متوجهاً نحو الشام، وتحوّل أبو مسلم حتى نزل في معكسر عبد الله بن عليّ في موضعه، وغوّر ما كان حوله من المياه، وألقى فيها الجيف. وبلغ عبد الله بن عليّ نزول أبي مسلم معسكره، فقال لأصحابه من أهل الشام: ألم أقل لكم! وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره، فنزل في موضع عسكر أبي مسلم الذي كان فيه، فاقتتلوا خمسة أشهر أو ستة، وأهل الشام أكثر فرساناً وأكمل عدةً،

وعلى ميمنة عبد الله بن عليّ عبد الله بن بكار بن مسلم العقيلي، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي، وعلى الخيل عبد الصمد بن علي. وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة، وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمة، فتقاتلوا أشهراً.

قال علي: قال هشام بن عمرو التغلبي: كنت في عسكر أبي مسلم، فتحدّث الناس يوماً، فقيل: أيّ الناس أشدّ؟ فقال: قولوا حتى أسمع، فقال رجل: أهل خراسان، وقال آخر: أهل الشام، فقال أبو مسلم: كل قومٍ في دولتهم أشدّ الناس، قال: ثم التقيا، فحمل علينا أصحاب عبد الله بن عليّ فصدمونا صدمةً أزالونا بها عن مواضعنا، ثم انصرفوا، وشدّ علينا عبد الصمد بن علي في خيلٍ مجردةٍ، فقتل منا ثمانية عشر رجلاً، ثم رجع في أصحابه، ثم تجمّعوا فرموا بأنفسهم، فأزالوا صفنا وجُلْنا جولةً، فقلت لأبي مسلم: لو حرّكت دابتي حتى أشرف على هذا التل فأصيح بالناس، فقد انهزموا، فقال: افعل، قال: قلت: وأنت أيضاً تحرّك دابتك، فقال: إن أهل الحجى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال، ناد: يا أهل خراسان ارجعوا فإن العاقبة لمن اتقى.

قال: ففعلت، فتراجع الناس، وارتجز أبو مسلم يومئذٍ فقال:

مـن كـان يـنـوي أهـلـه فـلا رجـع

فرّ من الـموت وفي الـموت وقـع

قال: وكان قد عُمل لأبي مسلم عريش، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس، فينظر إلى القتال، فإن رأى خللاً في الميمنة أو في الميسرة أرسل إلى صاحبها: إن في ناحيتك انتشاراً، فاتق ألا نُؤتى من قبلك، فافعل كذا، قدّم خيلك كذا، أو تأخّر كذا إلى موضع كذا، فإنما رسله تختلف إليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعضٍ.

قال: فلما كان يوم الثلاثاء ـ أو الأربعاء ـ لسبعٍ خلون من جمادى الآخرة سنة سبعٍ وثلاثين ومائة التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما رأى ذلك أبو مسلم مكر بهم، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة ـ وكان على ميمنته ـ أن أغرِ الميمنة، وضمّ أكثرها إلى الميسرة، وليكن في الميمنة حماة أصحابك وأشداؤهم، فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم وانضموا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبي مسلم. ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن مر أهل القلب فليحملوا مع من بقي في الميمنة على ميسرة أهل

الشام، فحملوا عليهم فحطّموهم، وجال أهل القلب والميمنة.

قال: وركبهم أهل خراسان، فكانت الهزيمة، فقال عبد الله بن علي لابن سراقة الأزديّ ـ وكان معه ـ: يا ابن سراقة ما ترى؟ قال: أرى والله أن تصبر وتقاتل حتى تموت، فإن الفرار قبيح بمثلك، وقبل ذلك عِبته على مروان، فقلتَ: قبّح الله مروان! جزع من الموت ففرّ، قال: فإني آتٍ العراق، قال: فأنا معك، فانهزموا وتركوا عسكرهم. فاحتواه أبو مسلم. وكتب بذلك إلى أبي جعفر، فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يحصي ما أصابوا في عسكر عبد الله بن عليّ، فغضب من ذلك أبو مسلم.

ومضى عبد الله بن عليّ وعبد الصمد بن عليّ. فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فآمنه أبو جعفر، وأما عبد الله بن عليّ فأتى سليمان بن علي بالبصرة، فأقام عنده. وآمن أبو مسلم الناس فلم يقتل أحداً، وأمر بالكف عنهم[١].

بقي عبد الله بن عليّ مدةً عند أخيه سليمان بن

---

(١) تاريخ الطبري.

عليّ غير أن أبا جعفر المنصور كان يلحّ على عمه سليمان ويطالبه به، فسلَّمه إياه فأودعه السجن إلا أنه خشي من بقائه وخاف من قتله، فبقاؤه يُشكّل خطراً على خلافته، وقتله يُسبّب انشقاقاً في بني العباس، لذا عمل المنصور سرّاً على حفر أساس الغرفة التي فيها عمه عبد الله بن عليّ، وحوّل الماء على الأساس فانهار البيت فوق ساكنه وقتله وذلك سنة سبعٍ وأربعين ومائة.

مقتل أبي مسلم الخراساني:

كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يستأذنه في الحج وذلك في سنة ستٍ وثلاثين ومائة، وإنما أراد أن يصلّي بالناس، فأذن له. وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر، وهو على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان: إن أبا مسلم كتب إليَّ يستأذن في الحج وقد أذنت له، وقد ظننت أنه إذا قدم يريد أن يسألني أن أُولِّيه إقامة الحج للناس، فاكتب إليَّ تستأذنني في الحج، فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدّمك. فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحج فأذن له، فوافى الأنبار، فقال أبو مسلم: أما وجد أبو جعفر عاماً يحجّ فيه غير هذا، وحملها ضغينةً عليه.

استخلف أبو جعفر على أرمينية في تلك السنة الحسن بن قحطبة، وخرج أبو جعفر وأبو مسلم إلى مكة، فكان أبو مسلم يصلح العِقاب ويكسو الأعراب في كل منزلٍ، ويصل من سأله. وحفر الآبار، وسهَّل الطرق، وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوب عليه.

قالوا: لما صدر الناس عن الموسم نفر أبو مسلم قبل أبي جعفر فتقدَّمه، فأتاه كتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر، فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يُعزِّيه بأمير المؤمنين، ولم يهنئه بالخلافة، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع، فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب: اكتب إليه كتاباً غليظاً؛ فلما أتاه كتاب أبي جعفر كتب إليه يهنئه بالخلافة، فقال يزيد بن أسيد السُّلميُّ[1] لأبي جعفر: إني أكره أن تسير معه في

---

(١) يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء السُّلمي، من بني بهثة بن سليم بن منصور: والٍ من رجال الدولة العباسية. كانت أمه نصرانية. ولي أرمينية للمنصور، ولولده المهدي. وغزا الروم سنة ١٥٨هـ. واستولى على حصون من ناحية قاليقلا سنة ١٦٢هـ. وهو المعروف بيزيد سُليم، الذي تداول الناس فيه وفي يزيد بن حاتم قول ربيعة الرقي:

لشتَّان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سُليم والأغر ابن حاتم=

الطريق والناس جنده، وهم له أطوع، وله أهيب، وليس معك أحد. فأخذ برأيه، فكان يتأخّر ويتقدّم أبو مسلم.

ومضى أبو مسلم إلى الأنبار، ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له، فأتى عيسى، وقدم أبو جعفر فنزل الكوفة، وأتاه أن عبد الله بن عليّ قد خلع، فرجع إلى الأنبار، فدعا أبا مسلم، فعقد له، وقال له: سر إلى ابن عليّ، فقال له أبو مسلم: إن عبد الجبار بن عبد الرحمٰن[1] وصالح بن الهيثم يعيبانني فاحبسهما، فقال أبو جعفر: عبد الجبار على شُرَطي ـ وكان قبل على شُرَط أبي العباس ـ وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاعة، فلم أكن لأحبسهما لظنّك بهما، قال: أراهما آثر عندك مني، فغضب أبو جعفر، فقال أبو مسلم: لم أرد كل هذا.

= وكان ربيعة قد ذهب إليه، واستقلّ ما أعطاه، وذهب إلى يزيد بن حاتم الأزدي (والي إفريقية) فلقي منه كرماً بالغاً، فجعل اليزيدين مضرب المثل.
وتوفي يزيد بن أسيد في خلافة محمد المهدي.

(١) عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي: أمير من الشجعان الأشداء في صدر العهد العباسي، ولّاه المنصور إمرة خراسان سنة ١٤٠هـ، فقتل كثيراً من أهلها، ثم خلع طاعة المنصور، فوجّه المنصور إليه الجند لقتاله فأسروه، وحملوه إلى المنصور، فقتله، ونفى أهله وبنيه وذلك سنة ١٤٢هـ.

قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية، فلما وُجِّه أبو مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير معه، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل، فأقام أياماً، فلما أراد أن يسير، قلت للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إليّ حاجة، فلو أذنت لي فأتيت العراق، فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله، قال: نعم، ولكن أعلمني إذا أردتَ الخروج، قلت: نعم، فلما فرغت وتهيّأت، أعلمته، وقلت: أتيتك أودعك، قال: قف لي بالباب حتى أخرج إليك، فخرجت فوقفت وخرج، فقال: إني أريد أن أُلقيَ إليك شيئاً لتُبْلِغَه أبا أيوب، ولولا ثقتي بك لم أُخبرك، ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك، فأبلغ أبا أيوب أني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه، إنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه، ثم يلوي شِدقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر، فيقرؤه ويضحكان استهزاءً، قلت: نعم قد فهمت، فلقيت أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيته بشيء، فضحك، وقال: نحن لأبي مسلم أشدّ تهمةً منا لعبد الله بن عليّ إلا أنا نرجو واحدةً، نعلم أن أهل خراسان لا يحبّون عبد الله بن عليّ، وقد قتل منهم من قتل، وكان عبد الله بن عليّ حين خلع خاف أهل خراسان فقتل

منهم سبعة عشر ألفاً، أمر صاحب شرطته حيّاش بن حبيب فقتلهم[1].

كان أبو جعفر داهيةً، وقد بعث أبا مسلم إلى عبد الله بن عليّ إذ أراد أن يضرب أحدهما بالآخر، وأيهما قُضي عليه فقد تخلّصت الخلافة منه. ويرى أبو جعفر أن أبا مسلم أكثر إمكانيةً في تحقيق الظفر على خصمه، وذلك لأن قسماً غير قليلٍ من جند عبد الله بن عليّ إنما هم من أهل خراسان، ولا يُؤيدونه بل يرتبطون بأبي مسلم، وبأبي مسلم فقط، وأبو مسلم عدوّه الذي يلتقي معه في ساحة القتال، ويعرف عبد الله بن عليّ هذا، ولذا قتل أكثرهم، وهو سبعة عشر ألفاً كما سبق، ومن بقي معه من أهل خراسان ما زادهم ذلك إلا حقداً عليه وعداوةً له، وسيظهر هذا إن التقى الجيشان، كما أن أهل الشام في جيش عبد الله بن عليّ لم يكونوا على رضىً تامٍ من قائدهم لما فعل جنده من المتلوّنين من أهل خراسان وغيرهم بالشام من إساءاتٍ عند ملاحقة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وما كان همّهم سوى الإساءة لخلفاء المسلمين الذين سيتسلمون الأمر بعد الأمويين، ولا شك فإن

---

(١) تاريخ الطبري.

تصرّف الجند إنما يتحمّله القائد، ومن هنا كان سخط أهل الشام الضمني على عبد الله بن علي. وإذا ما تمكّن أبو مسلم من خصمه عبد الله بن عليّ في منازلة أحدهما للآخر فإن بني العباس وخاصةً إخوة عبد الله بن عليّ وأبناء إخوته وأهله سيحملون على أبي مسلم وسيعملون على الثأر منه، وفي كلتا الحالتين يكون أبو جعفر قد أحرز نصراً على خصومه.

قالوا: ولما انهزم عبد الله بن عليّ بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب ما أصاب من الأموال، فافترى أبو مسلم على أبي الخصيب وهمّ بقتله، فكُلِّم فيه؛ وقيل: إنما هو رسول، فخلّى سبيله، فرجع إلى أبي جعفر، وجاء القوّاد إلى أبي مسلم، فقالوا: نحن ولينا أمر هذا الرجل، وغنمنا عسكره، فلم يُسأل عما في أيدينا، إنما لأمير المؤمنين من هذا الخُمس، فلما قدم أبو الخصيب على أبي جعفر أخبره أن أبا مسلم همَّ بقتله. فخاف أبو جعفر أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان[1]، فكتب إليه كتاباً مع «يقطين»:

---

(١) خاف أبو جعفر أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان لأن فيها قوته وأتباعه، وأهلها تبعاً له، فإن خالف كانت له قوة.

إني قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان، فوجّه إلى مصر من أحببت[1]، وأقم بالشَّام[2] فتكون بقرب أمير المؤمنين؛ فإن أحبّ لقاءك أتيته من قريب. فلما أتاه الكتاب غضب، وقال: هو يولّيني الشام ومصر، وخراسان لي، واعتزم بالمضي إلى خراسان، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك.

وقيل: لما ظفر أبو مسلم بعكسر عبد الله بن عليّ بعث المنصور يقطين بن موسى، وأمره أن يحصي ما في العسكر، وكان أبو مسلم يسميه «يك دين» فقال أبو مسلم: يا يقطين، أمين على الدماء خائن في الأموال، وشتم أبا جعفر، فأبلغه «يقطين» ذلك.

وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف، وخرج من وجهه معارضاً يريد خراسان؛ وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن، وكتب إلى أبي مسلم بالمسير إليه، فكتب أبو مسلم، وقد نزل الزاب وهو على الرواح إلى طريق حلوان: إنه لم يبق

---

(١) لم يرغب أبو جعفر أن يقيم أبو مسلم بمصر لأن أهلها يقدّرون كل حاكم لهم، فما دام حاكمهم فهو سيّدهم.

(٢) أحب أبو جعفر أن يقيم أبو مسلم بالشام لأن أهلها ينتقدون الحاكم، ويتتبعون مثالبه.

لأمير المؤمنين أكرمه الله عدوّ إلا أمكنه الله منه، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان: أن أخوف ما يكون عليه الوزراء إذا سكنت الدهماء، فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريّون بالسمع والطاعة، غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك، فإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك، ضناً بنفسي. فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم: قد فهمت كتابك، وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم، الذين يتمنّون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلِمَ سوَّيْت نفسك بهم، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به! وليس مع الشريطة التي أوجبتَ منك سمع ولا طاعة. وحمّل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالةً لتسكن إليها إن أصغيت إليها، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك، فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده، وأقرب من ظنّه من الباب الذي فتحه عليك. ووجّه إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، وكان واحد أهل زمانه، فخدعه وردّه، وكان أبو مسلم يقول: والله

لأُقتَلَنَّ بالروم، وكان المنجمون يقولون ذلك[1]؛ فأقبل والمنصور في الرومية في مضارب، وتلقاه الناس، وأنزله وأكرمه أياماً.

وقيل: كتب أبو مسلم إلى أبي جعفر: أما بعد، فإني اتخذت رجلاً إماماً ودليلاً على ما افترضه الله على خلقه، وكان في مَحَلَّة العلم نازلاً، وفي قرابته من رسول الله ﷺ قريباً، فاستجهلني بالقرآن فحرَّفه عن مواضعه، طمعاً في قليلٍ قد تعافاه الله إلى خلقه، فكان كالذي دُلّي بغرور، وأمرني أن أُجرّد السيف، وأرفع الرحمة، ولا أقبل المعذرة، ولا أُقيل العثرة، ففعلت توطيداً لسلطانكم حتى عرّفكم الله من كان جَهِلَكم، ثم استنقذني الله بالتوبة، فإن يعفُ عني فقِدْ ما عُرِفَ به ونُسِبَ إليه، وإن يعاقبني فبما قدّمت يداي وما الله بظلامٍ للعبيد.

وخرج أبو مسلم يريد خراسان مراغماً مشاقاً، فلما دخل أرض العراق، ارتحل المنصور من الأنبار،

---

(١) كان أبو مسلم يقول ويشيع، ويعني أنه لن يخلع الطاعة وسيخرج للجهاد، ويكون شهيداً دلالةً على صدقه وإخلاصه، وما كان المنجمون سوى جزءٍ من لسانه، ينطقون ويتكلمون ما يريد قوله.

فأقبل حتى نزل المدائن، وأخذ أبو مسلم طريق حلوان، فقال: رُبّ أمرٍ لله دون حلوان. وقال أبو جعفر لعيسى بن علي وعيسى بن موسى ومن حضره من بني هاشم: اكتبوا إلى أبي مسلم، فكتبوا إليه يعظّمون أمره، ويشكرون له ما كان منه، ويسألونه أن يتمّ على ما كان منه وعليه من الطاعة، ويحذّرونه عاقبة الغدر، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين، وأن يلتمس رضاه. وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبي حميد المرورذيّ، وقال له: كلِّم أبا مسلم بألين ما تُكلّم به أحداً، ومنِّهِ وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه أحد، إن هو صلح وراجع ما أحب، فإن أبى أن يرجع فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: لست للعباس وأنا بريء من محمد، إن مضيت مشاقّاً ولم تأتني، إن وكلت أمرك إلى أحد سواي، وإن لم أل طلبك وقتالك بنفسي، ولو خضتَ البحر لخضتُه، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك، ولا تقولنّ له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه، ولا تطمع منه في خيرٍ.

فسار أبو حميد في ناسٍ من أصحابه ممن يثق بهم حتى قدموا على أبي مسلم بحُلوان، فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما، فدفع إليه الكتاب، وقال

له: إن الناس يبلّغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله، وخلاف ما عليه رأيه فيك حسداً وبغياً، يريدون إزالة النعمة وتغييرها، فلا تفسد ما كان منك، وكلّمه. وقال: يا أبا مسلم، إنك لم تزل أمين آل محمدٍ، يعرفك بذلك الناس، وما ذخر لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرك، ولا يستهوينك الشيطان، فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلّمني بهذا الكلام، قال: إنك دعوتنا إلى هذا، وإلى طاعة أهل بيت النبي ﷺ، بني العباس، وأمرتنا بقتال من خالف ذلك، فدعوتنا من أرضين متفرقةٍ وأسبابٍ مختلفةٍ، فجمعنا الله على طاعتهم، وألّف بين قلوبنا على محبتهم، وأعزنا بنصرنا لهم، ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله في قلوبنا، حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذةٍ، وطاعةٍ خالصةٍ، أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا، وتفرّق كلمتنا، وقد قلت لنا: ما خالفكم فاقتلوه، وإن خالفتكم فاقتلوني، فأقبل على أبي نصر، فقال: يا مالك أما تسمع ما يقول لي هذا! ما هذا بكلامه يا مالك! قال: لا تسمع كلامه، ولا يهولنّك هذا منه، فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه، ولما بعد هذا أشدّ منه، فامض لأمرك ولا ترجع، فوالله لئن أتيته ليقتلنّك، ولقد وقع في نفسه منك

شيء لا يأمنك أبداً، فقال: قوموا، فنهضوا، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك، وقال: يا نيزك، إني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك، فما ترى، فقد جاءت هذه الكتب، وقد قال القوم ما قالوا؟ قال: لا أرى أن تأتيه، وأرى أن تأتي الريّ فتقيم بها، فيصير ما بين خراسان والريّ لك، وهم جندك ما يخالفك أحد، فإن استقام لك استقمت له، وإن أبى كنت في جندك، وكانت خراسان من ورائك، ورأيت رأيك، فدعا أبا حميد، فقال: ارجع إلى صاحبك، فليس من رأيي أن آتيه، قال: قد عزمت على خلافه؟ قال: نعم، قال: لا تفعل، قال: ما أريد أن ألقاه، فلما آيسه من الرجوع، قال: ما أمره به أبو جعفر، فوجم طويلاً، ثم قال: قم، فكسره ذلك القول ورعّبه.

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود خالد بن إبراهيم[1]، وهو خليفة أبي مسلم بخراسان، حين اتّهم أبا مسلم: إن لك إمرة خراسان ما بقيت. فكتب أبو

(١) خالد بن إبراهيم الذهلي، أبو داود: والي خراسان أيام أبي جعفر المنصور، كان من الغزاة، له وقائع وأخبار. ولي خراسان سنة ١٣٧، ثار جنده، فأشرف عليهم يصيح بهم، فسقط عن الحائط فمات سنة ١٤٠.

داود إلى أبي مسلم: إنا لم نخرج لمعصية خلفاء وأهل بيت نبيّه ﷺ، فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه. فوافاه كتابه على تلك الحال، فزاده رُعباً وهماً، فأرسل إلى أبي حميد وأبي مالك فقال لهما: إني قد كنت معتزماً على المضي إلى خراسان، ثم رأيت أن أُوجِّه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتيني برأيه، فإنه ممن أثق به، فوجّهه، فلما قدم تلقّاه بنو هاشم بكل ما يحبّ، وقال له أبو جعفر: اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه. فرجع أبو إسحاق إلى أبي مسلم فقال له: ما أنكرت شيئاً، رأيتهم معظمين لحقك، يرون لك ما يرون لأنفسهم، وأشار عليه أن يرجع لأمير المؤمنين، فيعتذر إليه مما كان منه، فأجمع على ذلك، فقال له نيزك: قد أجمعت على الرجوع؟ قال: نعم، وتمثّل:

ما للرجال مع القضاء محالة

ذهب القضاء بحيلة الأقوام

فقال: أما إذا اعتزمت على هذا فخار الله لك، واحفظ عني واحدةً، إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت، فإن الناس لا يخالفونك، وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر أنه منصرف إليه.

قال أبو أيوب: فدخلت يوماً على أبي جعفر وهو في خباء شَعر بالرومية جالساً على مصلىً بعد العصر، وبين يديه كتاب أبي مسلم، فرمى به إليَّ فقرأته، ثم قال: والله لئن ملأت عيني منه لأقتلنَّه، فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون. طلبت الكتابة حتى إذا بلغت غايتها فصرت كاتباً للخليفة، وقع هذا بين الناس، والله ما أرى إن قُتل يرضى أصحابه بقتله، ولا يدعون هذا حيّاً، ولا أحداً ممن هو بسبيلٍ منه؛ وامتنع مني النوم، ثم قلت: لعلّ الرجل يقدم وهو آمن، فإن كان آمناً فعسى أن ينال ما يريد، وإن قدم وهو حذر لم يقدر عليه إلا في شرّ، فلو التمست حيلةً، فأرسلت إلى سلمة بن سعيد بن جابر، فقلت له: هل عندك شكر؟ فقال: نعم، فقلت: إن وليتك ولايةً تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق، تدخل معك حاتم بن أبي سليمان أخي؟ قال: نعم، فقلت ـ وأردت أن يطلع ولا ينكر: وتجعل له النصف؟ قال: نعم، قلت: إن كسكر[1] كالت عام أول كذا وكذا، ومنها العام أضعاف ما كان عام أول، فإن دفعتها إليك بقبالتها عاماً أول أو بالأمانة أصبت ما تضيق به ذرعاً، قال: فكيف لي بهذا

---

(١) كسكر: كورة واسعة مصبتها واسط بين الكوفة والبصرة.

المال؟ قلت: تأتي أبا مسلم فتلقاه وتكلمه غداً، وتسأله أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه أن تتولّاها أنت بما كانت في العام الأول، فإن أمير المؤمنين يريد أن يولّيه إذا قدم ما وراء بابه، ويستريح ويريح نفسه، قال: فكيف لي أن يأذن لي أمير المؤمنين في لقائه؟ قلت: أنا أستأذن لك، ودخلت إلى أبي جعفر فحدَّثته الحديث كله، قال: فادع سلمة، فدعوته، فقال: إن أبا أيوب استأذن لك، أفتحب أن تلقى أبا مسلم؟ قال: نعم، قال: فقد أذنت لك، فاقرئه السلام، وأعلمه بشوقنا إليه. فخرج سلمة فلقيه، فقال: أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأياً. فطابت نفسه، وكان قبل ذلك كئيباً. فلما قدم عليه سلمة سرّه ما أخبره به وصدقه، ولم يزل مسروراً حتى قدم.

قال أبو أيوب: فلما دنا أبو مسلم من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس فتلقّوه، فلما كان عشيةً قدم دخلت على أمير المؤمنين وهو في خِباءٍ على مصلىً، فقلت: هذا الرجل يدخل العشية، فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أقتله حين أنظر إليه، قلت: أنشدك الله، إنه يدخل معه الناس، وقد علموا ما صنع، فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء، ولكن إذا دخل عليك فأذن له

أن ينصرف، فإذا غدا عليك رأيت رأيك، وما أردت بذلك إلا دفعه بها، وما ذاك إلا من خوفي عليه وعلينا جميعاً من أصحاب أبي مسلم. فدخل عليه من عشيته وسلم، وقام قائماً بين يديه، فقال: انصرف يا عبد الرحمٰن فأرح نفسك، وادخل الحمام، فإن للسفر قَشَفاً، ثم اغدُ عليّ، فانصرف أبو مسلم وانصرف الناس. قال: فافترى عليّ أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم، وقال: متى أقدر على مثل هذه الحال منه التي رأيته قائماً على رجليه، ولا أدري ما يحدث في ليلتي! فانصرفت وأصبحت غادياً عليه، فلما رآني قال: يا ابن اللخناء، لا مرحباً بك، أنت منعتني منه أمس، والله ما غمضت الليلة، ثم شتمني حتى خفت أن يأمر بقتلي، ثم قال: ادعُ لي عثمان بن نهيك، فدعوته، فقال: يا عثمان كيف بلاء أمير المؤمنين عندك؟ قال: يا أمير المؤمنين إنما أنا عبدك، والله لو أمرتني أن أتكئ على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت، قال: كيف أنت إن أمرتك بقتل أبي مسلم؟ فوجم ساعةً لا يتكلم، فقلت: ما لك لا تتكلم! فقال قولةً ضعيفةً: أقتله، قال: انطلق فجئ بأربعةٍ من وجوه الحرس جُلْد، فمضى، فلما كان عند الرواق، ناداه: يا عثمان يا عثمان، ارجع فرجع، قال: اجلس، وأرسل إلى من تثق

من الحرس، فأحضر منهم أربعةً، فقال لوصيفٍ له: انطلق فادعُ شبيب بن مراج، وادع أبا حنيفة ورجلين آخرين، فدخلوا، فقال لهم أمير المؤمنين نحواً مما قال لعثمان، فقالوا: نقتله، فقال: كونوا خلف الرواق، فإذا صفَّقت فاخرجوا فاقتلوه.

وأرسل إلى أبي مسلم رسلاً بعضهم إثر بعضٍ، فقالوا: قد ركب، وأتاه وصيف، فقال: أتى عيسى بن موسى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أخرج فأطوف في العسكر، فأنظر ما يقول الناس؟ هل ظنّ أحد ظنّاً، أو تكلم أحد بشيءٍ؟ قال: بلى، فخرجت، وتلقّاني أبو مسلم داخلاً، فتبسّم وسلّمت عليه ودخل، فرجعت فإذا هو منبطح لم ينتظر به رجوعي. وجاء أبو الجهم، فلما رآه مقتولاً قال: إن لله وإنا إليه راجعون! فأقبلت على أبي الجهم، فقلت له: أمرتَه بقتله حين خالف، حتى إذا قُتل قلتَ هذه المقالة فنبّهت به رجلاً غافلاً، فتكلم بكلام أصلح ما جاء منه، ثم قال: يا أمير المؤمنين ألا أردّ الناس؟ قال: بلى، قال: فَمُرْ بمتاع يحوّل إلى رواقٍ آخر من أروقتك هذه، فأمر بفُرُشٍ فأُخرجت، كأنه يريد أن يهيئ له رواقاً آخر. وخرج أبو الجهم، فقال: انصرفوا، فإن الأمير يريد أن يقيل عند أمير

المؤمنين، ورأوا المتاع يُنقل، فظنّوه صادقاً، فانصرفوا ثم راحوا، فأمر لهم أبو جعفر بجوائزهم، وأعطى أبا إسحاق مائة ألف.

قال أبو أيوب: قال لي أمير المؤمنين: دخل عليَّ أبو مسلم فعاتبته ثم شتمته، فضربه عثمان فلم يصنع شيئاً، وخرج شبيب بن واج وأصحابه فضربوه فسقط، فقال وهم يضربونه: العفو، فقلت: يا ابن اللخناء، العفو والسيوف قد اعتورتك! وقلت: اذبحوه فذبحوه.

عن أبي حفص الأزدي قال: كنت مع أبي مسلمٍ فقدم عليه أبو إسحاق من عند أبي جعفر بكتبٍ من بني هاشم، وقال: رأيت القوم على غير ما ترى، كل القوم يرون لك ما يرون للخليفة، ويعرفون ما أبلاهم الله بك. فسار إلى المدائن، وخلف أبا نصر في ثَقَله، وقال: أقم حتى يأتيك كتابي، قال: فاجعل بيني وبينك آيةً أعرف بها كتابك، قال: إن أتاك كتابي مختوماً بنصف خاتم فأنا كتبته، وإن أتاك بالخاتم كله، فلم أكتبه ولم أختمه، فلما دنا من المدائن تلقّاه رجل من قواده، فسلّم عليه، فقال له: أطعني وارجع، فإنه إن عاينك قتلك، قال: قد قربت من القوم فأكره أن أرجع. فقدم المدائن في ثلاثة آلافٍ، وخلّف الناس بحُلوان،

فدخل على أبي جعفر، فأمره بالانصراف في يومه، وأصبح يريده، فتلقّاه أبو الخصيب فقال: أمير المؤمنين مشغول، فاصبر ساعةً حتى تدخل خالياً، فأتى منزل عيسى بن موسى ـ وكان يحبّ عيسى ـ فدعا له بالغداء. وقال أمير المؤمنين للربيع ـ وهو يومئذٍ وصيف يخدم أبا الخصيب: انطلق إلى أبي مسلم، ولا يعلم أحد، فقل له: قال لك مرزوق: إن أردت أمير المؤمنين خالياً فالعجل، فقام فركب، وقال له عيسى: لا تعجل بالدخول حتى أدخل معك، فأبطأ عيسى بالوضوء، ومضى أبو مسلم فدخل فقُتل قبل أن يجيء عيسى، وجاء عيسى وهو مدرَج في عباءة، فقال: أين أبو مسلم؟ قال: مدرج في الكساء؛ قال: إن لله وإنا إليه راجعون! قال: اسكت، فما تمّ سلطانك وأمرك إلا اليوم، ثم رمى به في دجلة.

قال أبو حفص: دعا أمير المؤمنين عثمان بن نهيك وأربعةً من الحرس، فقال لهم: إذا ضربت بيديّ إحداهما على الأخرى، فاضربوا عدوّ الله، فدخل عليه أبو مسلم، فقال له: أخبرني عن نَصْلَيْن أصبتهما في متاع عبد الله بن عليّ، قال: هذا أحدهما الذي عليّ، قال: أرنيه فانتضاه، فناوله، فهزّه أبو جعفر، ثم وضعه

تحت فراشه، وأقبل عليه يعاتبه، فقال: أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات، أردت أن تعلّمنا الدين، قال: ظننت أخذه لا يحلُّ، فكتب إليَّ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم، قال: فأخبرني عن تقدّمك إياي في الطريق؟ قال: كرهت اجتماعنا على الماء فيضرّ ذلك بالناس، فتقدّمتك التماس الرفق، قال: فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إليَّ: نقدم فنرى من رأينا، فمضيت فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت إليَّ، قال: منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس، وقلت: نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف، قال: فجارية عبد الله بن عليّ أردت أن تتخذها؟ قال: لا، ولكني خفت أن تضيع، فحملتها في قبّة، ووكلت بها من يحفظها، قال: فمراغمتك وخروجك إلى خراسان؟ قال: خفت أن يكون قد دخلك مني شيء، فقلت: آتي خراسان، فأكتب إليك بعذري، وإلى ذلك ما قد ذهب ما في نفسك عليّ، قال: تالله ما رأيت كاليوم قطّ، والله ما زدتني إلا غضباً، وضرب بيده، فخرجوا عليه، فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه.

قال يزيد بن أسيد: قال أمير المؤمنين: عاتبت عبد الرحمٰن فقلت: المال الذي جمعته بحرّان؟ قال: أنفقته وأعطيته الجند تقويةً لهم واستصلاحاً، قلت: فرجوعك إلى خراسان مراغماً؟ قال: دع هذا فما أصبحت أخاف أحداً إلا الله، فغضبت فشتمته، فخرجوا فقتلوه.

وقيل: إنه لما أُرسل إليه يوم قُتل، أتى عيسى بن موسى، فسأله أن يركب معه، فقال له: تقدّم وأنت في ذمتي، فدخل مضرب أبي جعفر، وقد أمر عثمان بن نهيك صاحب الحرس، فأعدّ له شبيب بن واج المروذيّ (رجلاً من الحرس) وأبا حنيفة حرب بن قيس، وقال لهم: إذا صفّقت بيديّ فشأنكم، وأذن لأبي مسلم، فقال لمحمد البواب البخاري: ما الخبر؟ قال: خير، يعطيني الأمير سيفه، فقال: ما كان يصنع بي هذا، قال: وما عليك، فشكا ذلك إلى أبي جعفر، قال: ومن فعل بك هذا قبحه الله، ثم أقبل يعاتبه: ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك، والكاتب إليَّ تخطب أمينة بنت عليّ، وتزعم أنك ابن سَليط بن عبد الله بن عباس! وما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا، وهو أحد نقبائنا قبل أن ندخلك في شيء من

هذا الأمر؟ قال: أراد الخلاف وعصاني فقتلته. فقال المنصور: وحاله عندنا حاله فقتلته، وتعصيني وأنت مخالف عليَّ! قتلني الله إن لم أقتلك! فضربه بعمود، وخرج شبيب وحرب فقتلاه وذلك لخمس ليالٍ بقين من شعبان من سنة سبعٍ وثلاثن ومائة، فقال المنصور:

زعمت أن الدَّين لا يُقتضى
فاستوف بالكيل أبا مجرم
سُقيتَ كأساً كنت تَسقي بها
أمرّ في الحلق من العلقم

قال: وكان أبو مسلم قد قتل في دولته وحروبه ستمائة ألفٍ صبراً، وقيل: إن أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم قال له: فعلت وفعلت، قال له أبو مسلم: ليس يقال هذا لي بعد بلائي، وما كان مني، فقال: يا ابن الخبيثة، والله لو كانت أَمَة مكانك لأجزت ناحيتها، إنما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا، ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً، ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك، والكاتب إليَّ تخطب أمينة بنت علي، وتزعم أنك سَليط بن عبد الله بن عباس! فقد ارتقيت لا أُمّ لك مرتقىً صعباً، فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويُقَبِّلها ويعتذر إليه.

قيل: إن عثمان بن نهيك ضرب أبا مسلم أول ما ضرب ضربةً خفيفةً بالسيف، فلم يزد أن قطع حمائل سيفه، فاعتقل بها أبو مسلم، وضرب شبيب بن واج رجله، واعتوره بقية أصحابه حتى قتلوه، والمنصور يصيح بهم: اضربوا قطع الله أيديكم.

وقد كان أبو مسلم ـ فيما قال ـ عند أول ضربةٍ أصابته: يا أمير المؤمنين، استبقني لعدوك، قال: لا أبقاني الله إذن، وأيّ عدوٍ لي أعدى منك.

وقيل: إن عيسى بن موسى دخل بعدما قُتل أبو مسلم، فقال عيسى: يا أمير المؤمنين، قد عرفت طاعته ونصيحته ورأي الإمام إبراهيم فيه، فقال: يا أنوَك، والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه، ها هو ذاك في البساط، فقال عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون! وكان لعيسى رأي في أبي مسلم، فقال له المنصور: خلع الله قلبك، وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم.

قال: ثم دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة، فدخل عليه، فقال: ما تقول في أبي مسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخذت شعرةً من رأسه فاقتل ثم اقتل ثم اقتل؛ فقال المنصور: وفقك الله، ثم أمره بالقيام

والنظر إلى أبي مسلم مقتولاً، فقال: يا أمير المؤمنين، عُدّ من هذا اليوم لخلافتك. ثم استؤذن لإسماعيل بن عليّ، فدخل، فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيت في ليلتي هذه كأنما ذبحت كبشاً وأني توطّأته برجلي، فقال: نامت عينك يا أبا الحسن، قُمْ فصدِّق رؤياك، قد قتل الله الفاسق. فقام إسماعيل إلى الموضع الذي فيه أبو مسلم، فتوطَّأه.

ثم إن المنصور همّ بقتل أبي إسحاق صاحب حرس أبي مسلم، وقتل أبي نصر مالك بن الهيثم[1] ـ وكان على شُرَط أبي مسلم ـ فكلَّمه أبو الجهم، فقال: يا أمير المؤمنين جنده جندك، أمرتهم بطاعته فأطاعوه. ودعا المنصور بأبي إسحاق، فلما دخل عليه ولم ير أبا مسلم، قال له أبو جعفر: أنت المتابع لعدوّ الله أبي مسلم على ما كان أجمع، فكفّ وجعل يتلفّت يميناً وشمالاً تخوّفاً من أبي مسلم، فقال له المنصور: تكلّم

(١) مالك بن الهيثم الخزاعي، أبو نصر: من نقباء بني العباس، خرج على بني أمية سنة ١١٧ هو وسليمان بن كثير، وموسى بن كعب، ولاهز بن قريط، وخالد بن إبراهيم، وطلحة بن زريق، ودعوا لبني العباس، وظهر أمرهم، فقبض عليهم أسد بن عبد الله القسريّ أمير خراسان، وأطلق مالك، فكان مع أبي مسلم الخراساني بعد ذلك، وتوفي بعد مقتل أبي مسلم.

بما أردت، فقد قتل الله الفاسق، وأمر بإخراجه مُقطّعاً، فلما رآه أبو إسحاق خرّ ساجداً، فأطال السجود، فقال له المنصور: ارفع رأسك وتكلّم، فرفع رأسه وهو يقول: الحمد لله الذي آمنني بك اليوم؛ والله ما أمنته يوماً واحداً منذ صحبته، وما جئته يوماً قطّ إلا وقد أوصيت وتكفّنت وتحنّطت، ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثياب كتّان جُدد، وقد تحنّط. فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه، ثم قال: استقبل طاعة خليفتك، واحمد الله الذي أراحك من الفاسق. ثم قال أبو جعفر: فرّق عني هذه الجماعة، ثم دعا بمالك بن الهيثم فحدّثه بمثل ذلك، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته، وإنما خدمه وخفّ له الناس بمرضاته، وأنه قد كان في طاعتهم قبل أن يعرف أبا مسلم، فقبل منه، وأمره بمثل ما أمر به أبا إسحاق من تفريق جند أبي مسلم.

وبعث أبو جعفر إلى عدةٍ من قواد أبي مسلم بجوائز سنيةٍ، وأعطى جميع جنده حتى رضوا، ورجع أصحابه وهم يقولون: بعنا مولانا بالدراهم. ثم دعا أبو جعفر بعد ذلك أبا إسحاق، فقال: أقسم بالله لئن قطعوا طُنُباً من أطنابي لأضربنّ عنقك ثم لأجاهدنّهم، فخرج إليهم أبو إسحاق فقال: يا كلاب انصرفوا.

قال أبو حفص الأزدي: لما قُتل أبو مسلم كتب

أبو جعفر إلى أبي نصر مالك بن الهيثم عن لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثَقَله وما خلّف عنده، وأن يقدم، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم، فلما رأى أبو نصر نقش الخاتم تاماً، علم أن أبا مسلم لم يكتب الكتاب، فقال: أفعلتموها، وانحدر إلى همذان وهو يريد خراسان، فكتب أبو جعفر لأبي نصر عهده على شهرزور، ووجّه رسولاً إليه بالعهد، فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجّه إلى خراسان، فكتب إلى زهير بن التركي - وهو على همذان: إن مرّ بك أبو نصر فاحبسه، فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمذان، فأخذه فحبسه في القصر، وكان زهير مولىً لخزاعة، فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف - وهو ابن أخي أبي نصر لأمه - فقال: يا إبراهيم، تقتل عمك! قال: لا والله أبداً، فأشرف زهير فقال لإبراهيم: إني مأمور والله، إنه لمن أعزّ الخلق عليّ، ولكني لا أستطيع ردّ أمر أمير المؤمنين، ووالله لئن رمى أحدكم بسهم لأرمين إليكم برأسه. ثم كتب أبو جعفر كتاباً آخر إلى زهير: إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله.

وقدم صاحب العهد[1] على أبي نصر بعهده فخلّى

(١) الذي يحمل عهد أمير المؤمنين لأبي نصر على شهرزور.

زهير سبيله لهواه فيه، فخرج، ثم جاء بعد يومٍ الكتاب إلى زهير بقتله، فقال: جاءني كتاب بعهده فخليت سبيله.

وقدم أبو نصر على أبي جعفر، فقال: أشرت على أبي مسلم بالمضي إلى خراسان؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، كانت له عندي أيادٍ وصنائع فاشتشارني فنصحت له، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتني نصحت لك وشكرت. فعفا عنه. فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر، وقال: أنا اليوم البواب، لا يدخل أحد القصر وأنا حيّ، فقال أبو جعفر: أين مالك بن الهيثم؟ فأخبروه عنه، فرأى أنه قد نصح له.

وقيل: إن أبا نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همذان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركي: إن لله دمك إن فاتك مالك، فأتي زهير مالكاً، فقال له: إني قد صنعت لك طعاماً، فلو أكرمتني بدخول منزلي، فقال: نعم، وهيّأ زهير أربعين رجلاً تخيّرهم فجعلهم في بيتين يُفضيان إلى المجلس الذي هيّأه، فلما دخل مالك قال: يا أدهم عجّل طعامك، فخرج أولئك الأربعون إلى مالك، فشدّوه وثاقاً، ووضع في رجليه القيود، وبعث به

إلى المنصور، فمنّ عليه، وصفح عنه، واستعمله على الموصل[1].

خروج ملبَّد بن حرملة الشيباني:

خرج في سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة مُلبَّد بن حرملة الشيباني الخارجي فحكّم بناحية الجزيرة، فسارت إليه جند الجزيرة، وهم في نحو ألف فارسٍ، فقاتلهم ملبَّد فهزمهم، وقتل من قتل منهم. ثم سارت إليه جنود الموصل فهزمهم، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبي، فهزمه ملبَّد بعد قتالٍ شديدٍ بينهما، ثم وجَّه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان في ألفين من نخبة الجند فهزمهم ملبَّد، واستباح عسكرهم، ثم وجّه إليه أحد قوّاده من أهل خراسان ويدعى نزار، فقتله ملبَّد، وهزم أصحابه، ثم وجّه إليه زياد بن مشكان في جمعٍ كثيرٍ، فلقيهم ملبَّد فهزمهم، ثم وجّه إليه صالح بن صبيح في جيشٍ كثيفٍ وخيلٍ كثيرٍ وعدّةٍ، فهزمهم، ثم سار إليه حميد بن قحطبة، وهو يومئذٍ على الجزيرة، فلقيه ملبَّد فهزمه، وتحصّن منه حميد، وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه.

---

(١) تاريخ الطبري.

ثم وجَّه المنصور إلى الملبّد جيشاً بقيادة عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمٰن، وضمّ إليه زياد بن مشكان، فأكمن له الملبّد مائة فارس، فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين فهزموه وقتلوا عامة أصحابه.

ثم وجه المنصور إلى الملبّد خازم بن خزيمة في نحو ثمانية آلاف من مرو الروذ، فسار خازم حتى نزل الموصل، وعلى الموصل إسماعيل بن علي، سار خازم في القلب، وعلى مقدمته نضلة بن نعيم بن خازم بن عبد الله النهشليُّ، وعلى ميمنته زهير بن محمد العامريّ، وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص مولى بني سليم، ولم يزل خازم يساير الملبَّد حتى غشيهم الليل، ثم تواقفوا ليلتهم، وأصبحوا يوم الأربعاء، فمضى الملبَّد وأصحابه متوجّهين إلى كورة «حَزّة» وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل، وأصبحوا يوم الخميس، وسار الملبّد وأصحابه، كأنه يريد الهرب من خازم، فخرج خازم وأصحابه في أثرهم فكرّ عليهم الملبّد وأصحابه، فحملوا على ميمنة خازم وطووها، ثم حملوا على الميسرة وطووها، ثم انتهوا إلى القلب وفيه خازم، فلما رأى

ذلك خازم نادى في أصحابه: الأرض، فنزلوا ونزل الملبَّد وأصحابه، وعقروا عامة دوابهم، فتضاربوا بالسيوف حتى تكسّرت. وأمر خازم قائد مقدمته نضلة بن نعيم أن إذا علا الغبار ولم يبصر بعضُنا بعضاً فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها، ثم ارموا بالنشّاب، ففعل ذلك، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة، ثم رشقوا الملبَّد وأصحابه بالنشّاب، فقُتل الملبَّد في ثمانمائةٍ ممن ترجَّل، وقُتل منهم قبل أن يترجّلوا زهاء ثلاثمائةٍ، وهرب الباقون، وتبعهم نضلة بن نعيم فقتل منهم مائة وخمسين رجلاً.

خروج جَهور بن مرّار العِجلي:

كان أبو جعفر قد وجّه جَهور بن مَرّار لقتال سنباذ فقاتله وهزمه وأخذ ما في معسكره، وكان في المعسكر خزائن أبي مسلم التي خلّفها بالريّ، فلم يبعث جهور هذه الخزائن إلى أبي جعفر بل حواها لنفسه، ثم خاف مغبة ذلك، فسوَّلت له نفسه أن يخلع طاعة أبي جعفر لينقذ نفسه مما وقع فيه ففعل.

بعث أبو جعفر إلى جهور جيشاً عظيماً بقيادة

محمد بن الأشعث الخزاعي[1]، فالتقيا فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان مع جهور نخبة من فرسان العجم، ومع ذلك فقد هُزم جهور، وقُتل من أصحابه خلق كثير، وأُسر بعض قادته، أما هو فقد هرب ولحق بأذربيجان، وأُخذ بعد ذلك وقُتل.

خروج عيينة بن موسى بن كعب:

كان عيينة بن موسى خليفة أبيه موسى بن كعب[2]

---

(١) محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي: والٍ من كبار القادة في عهد أبي جعفر المنصور، ولّاه المنصور مصر سنة ١٤١هـ. ثم أمره باستنقاذ إفريقية من بعض الخارجين بعد مقتل حبيب بن عبد الرحمن الفهري فوجّه إليها جيشاً بقيادة الأحوص العجلي، فهزمه الثائر أبو الخطاب، فسار محمد بن الأشعث في جيش قوامه أربعون ألفاً سنة ١٤٢هـ، فقتل أبا الخطاب سنة ١٤٤هـ، ودخل القيروان سنة ١٤٦هـ، وانتظم له الأمر في إفريقية، فثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان (أحد جنده) في جماعةٍ من قواده وأخرجوه من القيروان سنة ١٤٨هـ، فعاد إلى العراق، ثم غزا بلاد الروم مع العباس بن محمد فمات في الطريق سنة ١٤٩هـ.

(٢) موسى بن كعب بن عيينة التميمي، أبو عيينة: والٍ من كبار القادة، وأحد الرجال الذين رفعوا عماد الدولة العباسية. كان مع أبي مسلم في خراسان، وجعله محمد بن علي في جملة النقباء الاثني عشر في عهد بني أمية، فقام ببث الدعوة لبني=

على السند، وكان موسى على شُرَط المنصور، وله مصر والسند، وتوفي موسى بن كعب فخاف خليفته على الشُّرَط المسيب بن زهير أن يستدعي الخليفة المنصور عيينة بن موسى من السند ويجعله على الشُّرَط، فيضيع أمل المسيب بن زهير، فكتب المسيب إلي عيينة بيت شعر، ولم ينسب الكتاب إلى نفسه:

فـأرضــك أرضــك إن تـأتـنـا

فـنـم نـومـةً لـيـس فـيـهـا حـلـم

فخلع عيينة الطاعة، فلما بلغ ذلك المنصور خرج بعسكره من البصرة ونزل عند جسرها الأكبر، ووجّه عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكيّ[1] عاملاً على

= العباس. وشعر به أسد بن عبد الله البجلي القسري (والي خراسان) فقبض عليه وألجمه بلجامٍ فتكسرت أسنانه، ثم أطلق، ووجّهه أبو مسلم إلى «أبيورد» فافتتحها، وشهد الوقائع الكثيرة، وكان مع أبي العباس حين ظهوره بالكوفة، وكان أول من بايعه بالخلافة، وأخرجه إلى الناس، ولما ولي المنصور ولّاه شرطته، وأضاف إليه ولاية مصر والسند، فأرسل نائبين عنه إلى ذينك القطرين، وأغدق عليه العباسيون. ورحل إلى مصر عام وفاته ١٤١هـ، فأقام بها سبعة أشهر وأياماً، وصُرف عن إمرتها فعاد إلى بغداد، ولم يلبث أن توفي.

(١) عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة المهلبي: =

السند، محارباً لعيينة بن موسى، فسار حتى ورد السند، وغلب عليها، وذلك سنة اثنتين وأربعين ومائة.

الولايات:

كانت بعض الولايات هادئةً لم يجر ما يُعكر الصفو فيها، على حين كان بعضها الآخر كثير المشكلات، الأمر الذي يُؤدي إلى إجراء تغييرات فيها.

١ ـ مكة المكرمة:

ولي مكة منذ أيام أبي العباس السفاح العباس بن عبد الله بن معبد العباسي. وكان أبو العباس قبل موته قد عزل خاله زياد بن عبيد الله الحارثي، وولّى العباس بن عبد الله مكانه على مكة. وما إن انقضى موسم حج ستٍ وثلاثين ومائة حتى توفي العباس بن عبد الله، فأعاد المنصور على ولاية مكة زياد بن عبيد الله

= أمير من الأبطال، كانت العجم تُسمّيه «هزارمرد» أي الألف رجل، ولي السند في أيام المنصور مدةً، ثم وجهه المنصور إلى إفريقية أميراً، فدخل القيروان سنة ١٥١ والفوضى قائمة فيها، فقضى على بعض أصحاب الفتنة، فتكاثرت عليه جموعهم، وثبت لهم فيمن معه من الجند، وقاتلهم زمناً، وحصروه في القيروان، فخرج إليهم فقاتلهم حتى قُتل وذلك سنة ١٥٤.

الحارثي، وبذا أصبحت الحجاز كلها تحت إمرته.

وفي سنة إحدى وأربعين ومائة عزل أبو جعفر المنصور عن الحجاز زياد بن عبيد الله الحارثي، وولّى على مكة والطائف الهيثم بن معاوية العتكيّ[1]، وعلى المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري.

وفي سنة ثلاثٍ وأربعين ومائة عاد المنصور فعزل عن مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وولى مكانه السري بن عبد الله الذي كان يتولّى شؤون اليمامة، وبعث مكانه على اليمامة قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس.

ولما خرج محمد بن عبد الله بن حسن في المدينة سنة خمسٍ وأربعين ومائة وغلب عليها أرسل إلى مكة الحسن بن معاوية فتمكن من دخولها.

وبعد مقتل محمد ذي النفس الزكية تولى أمر مكة المكرمة عبد الصمد بن علي، وبقي أميراً على مكة

---

(١) الهيثم بن معاوية العتكي: أصله من خراسان، ولي البصرة سنة خمسٍ وخمسين ومائة أيضاً، ثم عزله المنصور، واستقدمه إلى بغداد، فلما بلغها مات فيها وذلك سنة ستٍ وخمسين ومائة، وصلّى عليه الخليفة المنصور.

والطائف حتى سنة ثمان وأربعين ومائة، وجاء مكانه محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي حتى السنة الأخيرة من خلافة المنصور حيث ولي أمر مكة والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي.

٢" ـ المدينة:

كان والي المدينة منذ أيام أبي العباس خاله زياد بن عبيد الله الحارثي، واستمر في عمله حتى سنة ١٤١ حيث عزله المنصور، وولّى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري، بعد أن أهمه أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن، ولم يجد في زياد ما يحقق رغبته فأمر بعزل زياد بن عبيد الله الحارثي وتولية قاضي زياد؛ وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله مكانه. ثم استعمل أبو جعفر المنصور على المدينة محمد بن خالد القسريّ، وأمره بالجدّ في طلب محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله، وبسط يده في النفقة في طلبه، فقدم القسري المدينة مع هلال شهر رجب سنة إحدى وأربعين ومائة، ومضت سنوات ثلاث لم ينل أبو جعفر المنصور ما يريد، فعزل محمد بن خالد القسري، وولّى مكانه رياح بن عثمان بن حيان المرّيّ، غير أن ذا النفس الزكيّة قد خرج في أواخر جمادى الآخرة وغلب

على المدينة، فسار إليه بأمر المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى، وانتصر على محمد ذي النفس الزكية وقتله يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة ليلةً خلت من رمضان سنة خمسٍ وأربعين ومائة، وكانت غلبته على المدينة شهرين وسبعة عشر يوماً.

بقي عيسى بن موسى بالمدينة خمسة أيام، ثم خرج قاصداً مكة، واستخلف على المدينة كثير بن حصين، فمكث والياً عليها شهراً ثم قدم عبد الله بن الربيع الحارثي والياً عليها من قبل أبي جعفر المنصور.

كان رياح بن عثمان قد استعمل على صدقات أسد وطيء أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، فلما خرج محمد ذو النفس الزكية أقبل إليه أبو بكر بما كان جبى وشمّر معه، فلما قُتل ذو النفس الزكية، وغادر عيسى بن موسى المدينة، واستخلف كثير بن حصين على المدينة أخذ أبا بكر فضربه سبعين سوطاً وحبسه، ثم قدم عبد الله بن الربيع والياً لخمسٍ بقين من شوال سنة خمسٍ وأربعين ومائة فحدثت فوضى نتيجة الخلاف بين التجار والجند، فشكا التجار إلى الوالي فشتمهم وطردهم، فطمع الجند حتى انتهبوا شيئاً من متاع السوق. وشكا رؤساء المدينة الجند فلم يفعل الوالي

شيئاً، فزادت الفوضى حتى اضطر عبد الله بن الربيع أن يهرب، وهاج السودان، وهابهم الجند، ورجا الناس عبد الله بن الربيع أن يرجع وهو ببطن نخل، فرجع، وهدأ الوضع، وقطع أيدي قادة السودان.

وعزل المنصور عن المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي، وولّى جعفر بن سليمان فقدمها في شهر ربيع الأول سنة ستٍ وأربعين ومائة، وبقي حتى سنة خمسين ومائة حيث عزله المنصور وولى مكانه الحسن بن زيد بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وفي سنة خمس وخمسين ومائة عزل أبو جعفر المنصور عن المدينة الحسن بن زيد، وولّى مكانه عبد الصمد بن عليّ، وبقي والياً على المدينة حتى خلافة المهدي.

٣" ـ الطائف:

كانت الطائف تتبع مكة في أيام أبي جعفر المنصور كلها فأميرهما واحد.

٤" ـ الكوفة:

تولّى أمر الكوفة يوم قامت دولة بني العباس داود بن علي، ثم عزله ابن أخيه أبو العباس، وولّاه

مكة والمدينة واليمن واليمامة، وولّى موضعه وما كان إليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى، فبقي أميراً لها ثلاث عشرة سنةً حتى إذا انتهى من ابني عبد الله بن حسن، وهما: محمد ذو النفس الزكية بالمدينة، وإبراهيم بالبصرة عزله المنصور عن الكوفة مقدمةً لخلعه من ولاية العهد، وولّى مكانه ابن عمه محمد بن سليمان بن عليّ حتى سنة خمسٍ وخمسين ومائة ثم عزله لقتله عبد الكريم بن أبي العوجاء ـ خال معن بن زائدة ـ ولأمورٍ لم يرض عنها المنصور، وولّى مكانه عمرو بن زهير أخا المسيب بن زهير[1]، وبقي على الكوفة إلى نهاية خلافة أبي جعفر المنصور.

٥" ـ البصرة:

كان سليمان بن عليّ والياً على البصرة منذ أيام أبي العباس، وكان عبد الله بن عليّ يعيش في البصرة عند أخيه سليمان وفي حماه.

وفي سنة تسعٍ وثلاثين ومائة، وفي النصف من

(١) المسيب بن زهير بن عمرو الضبي، أبو مسلم: قائد من الشجعان، ولد سنة مائة، كان على شرطة المنصور والمهدي والرشيد، ولّاه المهدي خراسان مدةً قصيرةً، مات في «مِنى» ودفن أسفل العقبة سنة خمسٍ وسبعين ومائة.

شهر رمضان يوم الأربعاء عزل المنصور عمّه سليمان بن عليّ عن البصرة، وولّى مكانه سفيان بن معاوية، فتوارى عبد الله بن عليّ وأصحابه خوفاً على أنفسهم فبلغ ذلك أبا جعفر، فبعث إلى سليمان وعيسى ابني عليّ، وكتب إليهما في إشخاص عبد الله بن علي، وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يُؤخّراه، وأعطاهما من الأمان لعبد الله بن علي ما رضياه له، ووثقا به، وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك، ويأمره بإزعاجهما واستحثاثهما بالخروج بعبد الله ومن معه من خاصته، فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وبعامة قواده وخوّاص أصحابه ومواليه حتى قدموا على أبي جعفر يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من ذي الحجة سنة تسعٍ وثلاثين ومائة.

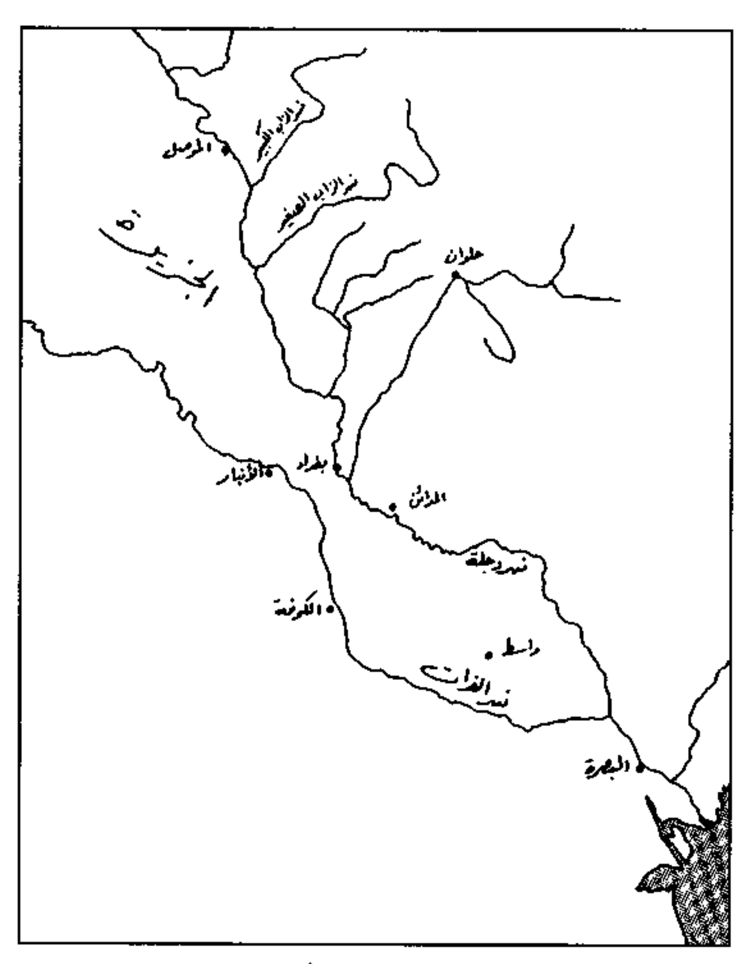
فلما قدم سليمان وعيسى ابنا علي على أبي جعفر أذن لهما فدخلا عليه، فأعلماه حضور عبد الله بن علي، وسألاه الإذن له، فأنعم لهما بذلك، وشغلهما بالحديث، وأُخذ عبد الله بن علي إلى مكانٍ في قصر أبي جعفر هُيء له محبساً فدخله، ونهض أبو جعفر من مجلسه، فقال لسليمان وعيسى: سارعا بعبد الله، فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذي كان فيه، فعلما

أنه قد حُبس، فانصرفا راجعين إلى أبي جعفر، فحيل بينهما وبين الوصول إليه، وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبد الله بن عليّ من عواتقهم وحُبسوا، ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته، وبعث بالبقية إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها. وبقي سفيان بن معاوية والياً على البصرة حتى سنة أربعٍ وأربعين ومائة.

كان إبراهيم بن عبد الله بن حسن قد هرب إلى البصرة، واستقرّ أمره فيها بعد منصرف الحجيج سنة ثلاثٍ وأربعين ومائة، وكان يدعو سرّاً إلى أخيه محمد، فلما قُتل أخوه محمد بالمدينة في رمضان سنة خمسٍ وأربعين ومائة، ووصلت الأخبار إلى البصرة أظهر إبراهيم الدعوة إلى نفسه في شهر شوال من السنة نفسها، وبايعته جماعة من أهل البصرة، وانتشر خبره، ووصل أمره إلى الخليفة أبي جعفر، وكان سفيان بن معاوية والي البصرة من قبل الخليفة يمالئ إبراهيم في الباطن، وتبلغه أخبار إبراهيم فلا يكترث بها، ويكذب من يُنبئه أمراً عن إبراهيم، ويتمنى له النجاح.

أمدّ المنصور نائبه على البصرة سفيان بن معاوية بقائدين من أهل خراسان مع كل واحدٍ منهما ألف

فارس وراجل ليتقوّى بهما، كما أن المنصور قد انتقل من بغداد إلى الكوفة ليكون على مقربةٍ من مجرى الأحداث.



مصور رقم [١]

خرج إبراهيم بن عبد الله يوم الإثنين في أول شهر رمضان سنة خمسٍ وأربعين ومائة، وانتصر على ابني عمّ الخليفة المنصور وهما جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي وعلى من معهما من قوةٍ، وتزيد على ستمائة فارسٍ. وبايعه أهل الأهواز، وانتصر على نائبها محمد بن الحصين بالقوة التي بعث بها إليه بقيادة المغيرة، كما أخذ فارس، وواسط، والمدائن، وسواد العراق كله.

أخذ إبراهيم يستعدّ للسير إلى المنصور في الكوفة، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يستقدمه من الحجاز فجاء مسرعاً، والتقى الطرفان، ورجحت كفة إبراهيم، ثم دارت الدائرة عليه، وصبر ثم قتل قبل انتهاء عام خمسة وأربعين ومائة بخمسة أيام، فكان ظهوره أربعة أشهر إلا خمسة أيام أي من مستهل شهر رمضان.

كما بعث المنصور قادةً إلى بقية المناطق التي دخلها إبراهيم فاستعاد أولئك القادة تلك المناطق، وولّى المنصور على البصرة سلْم بن قتيبة[1] وأمره بهدم

---

(١) سَلْم بن قتيبة بن مسلم الباهلي، الخراساني، أبو عبد الله: =

دور من بايع إبراهيم وعقر نخلهم، ولكن لم يبق والياً سوى خمسة أشهر إذ عُزل، وحلّ مكانه محمد بن سليمان بن علي[1]، وكان أبو جعفر يريد من محمد بن سليمان أن يستخفّ بعيسى بن موسى، ولكن لم يفعل. فولّى أبو جعفر البصرة ابن أخيه محمد بن أبي العباس، فاستعفى منها فأعفاه، فانصرف عنها إلى مدينة السلام، فمات بها، وكان محمد بن أبي العباس حين شخص عن البصرة، استخلف بها عقبة بن سَلْم، فأقرّه عليها أبو جعفر إلى سنة إحدى وخمسين ومائة حيث وليها جابر بن توبة مدةً وجيزة، وأعقبه يزيد بن منصور[2]،

= والي البصرة. وليها ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد الأموي، ثم وليها أيام أبي جعفر المنصور العباسي، كان من عقلاء الأمراء، عادلاً حسنت سيرته. مات بالريّ سنة تسع وأربعين ومائة.

(١) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو عبد الله: ولد بالحميمة سنة اثنتين وعشرين ومائة، ولي البصرة مدةً قصيرةً أيام المنصور، ثم وليها أيام المهدي سنة ستين ومائة، وشملت ولايته كور دجلة، والبحرين، والأهواز وفارس، وعُزل سنة ١٦٤، وأعاده الرشيد، وزوّجه أخته العباسة بنت المهدي، وذلك سنة ١٧٢، وبقي والياً على البصرة حتى توفي سنة ١٧٣.

(٢) يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب، من ولد ذي الجناح الحميري، أبو خالد: وال أيام العباسيين، هو=

فبقي ما يقرب من سنتين، وخلفه عبد الملك بن أيوب، ثم الهيثم بن معاوية، وعمارة بن حمزة[1].

٦" ـ مصر:

كان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس والي مصر منذ أيام أبي العباس، وبقي حتى سنة أربعين ومائة، ثم أُعطيت ولاية مصر إلى موسى بن كعب، وهو على شُرَط المنصور، ويتولّى أمورها نائب عنه، ولكنه لم يلبث أن توفي فوليها محمد بن الأشعث، ثم عُزل أيضاً، ووليها نوفل بن الفرات، ثم عُزل، وعاد إليها محمد بن الأشعث، ولكنه عزل أيضاً، وتولّى أمرها حميد بن قحطبة، ثم رجع إليها نوفل بن الفرات، وعُزل أيضاً، ووليها يزيد بن حاتم.

= خال محمد المهدي بن المنصور، ولي البصرة للمنصور سنة ١٥٢، ثم اليمن سنة ١٥٤ بعد الفرات بن سالم، وأقام في اليمن باقي خلافة المنصور، وسنة من خلافة المهدي، وعُزل سنة ١٥٩، وولّاه المهدي سنة ١٦١ الكوفة، ومات بالبصرة سنة ١٦٥. ولبشار بن برد هجاء فيه.

(١) عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس، كاتب، من الولاة الأجواد الشعراء الصدور، كان المنصور والمهدي يرفعان من قدره، وكان من الدهاة، وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز والبحرين، له في الكرم أخبار عجيبة، وفيه تيه شديد يُضرب به المثل.

بقي يزيد بن حاتم والياً على مصر حتى سنة إحدى وخمسين ومائة، وفي السنة التالية عُزل وتولّى أمر مصر محمد بن سعيد حتى ١٥٧ حيث خلفه مطر مولى أبي جعفر المنصور.

٧" ـ خراسان:

كان أبو مسلم الخراساني سيّد خراسان بلا منازعٍ، فلما سار أبو مسلم إلى الحجّ سنة ستٍ وثلاثين ومائة عهد إلى أبي داود خالد بن إبراهيم أن يقوم مقامه، ولما رجع أبو مسلم مع أبي جعفر المنصور من الحج، وعقد له المنصور للسير إلى عبد الله بن عليّ الذي أعلن البيعة لنفسه في الجزيرة، وسار إليه أبو مسلم، وتمكّن من إحراز النصر عليه، واستدعاه أبو جعفر إليه غير أنه خرج يريد خراسان مُراغماً، فكتب أبو جعفر إلى أبي داود خالد بن إبراهيم ـ وهو خليفة أبي مسلم بخراسان ـ: إن لك إمرة خراسان ما بقيت. فكتب أبو داود إلى أبي مسلم: إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيّه ﷺ، فلا تخالفنّ إمامك ولا ترجعنّ إلا بإذنه، فلما وصل الكتاب إلى أبي مسلم زاده رُعباً وهمّاً، وقتل أبو جعفر أبا مسلم. وبقي أبو داود أمير خراسان حتى سنة أربيعن ومائة.

ثار بعض الجند بخراسان على أبي داود خالد بن إبراهيم، وهو نازل من أحد أبواب مدينة مرو، فلما وصل الثائرون إلى المنزل الذي هو فيه، فأشرف أبو داود من الحائط على حرف آجُرّةٍ خارجةٍ، وجعل ينادي أصحابه ليعرفوا صوته، فانكسرت الآجُرّة عند الصبح، فوقع على سُترة صُفَّةٍ كانت قُدّام السطح وانكسر ظهره، فمات عند صلاة العصر، فقام عصام صاحب شرطة أبي داود بخلافة أبي داود حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الأزدي.

قسا عبد الجبار بن عبد الرحمٰن على سكان خراسان فاتهم بعض القادة بالدعوة إلى ولد عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، كما حبس عدداً من وجوه قادة خراسان، وألحّ على استخراج ما على عمال أبي داود من بقايا الأموال. فلما بلغ ذلك المنصور شعر أن عبد الجبار يريد أن يخلع الطاعة، فاستشار أبا أيوب الخزاعي، فقال له: ما أيسر حيلته، اكتب إليه: إنك تريد غزو الروم، فيوجّه إليك الجنود من خراسان، وعليهم فرسانهم ووجوههم، فإذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت فليس به امتناع. فكتب المنصور إليه بذلك، فأجابه: إن الترك قد جاشت، وإن فرّقت الجنود

ذهبت خراسان، فألقى المنصور بالكتاب إلى أبي أيوب، وقال له: ما ترى؟ قال: قد أمكنك من قياده، اكتب إليه: إنه خراسان أهم إليَّ من غيرها، وأنا موجّه إليك الجنود من قبلي، ثم وجّه إليه الجنود ليكونوا بخراسان، فإن همّ بخلعٍ أخذوا بعنقه.

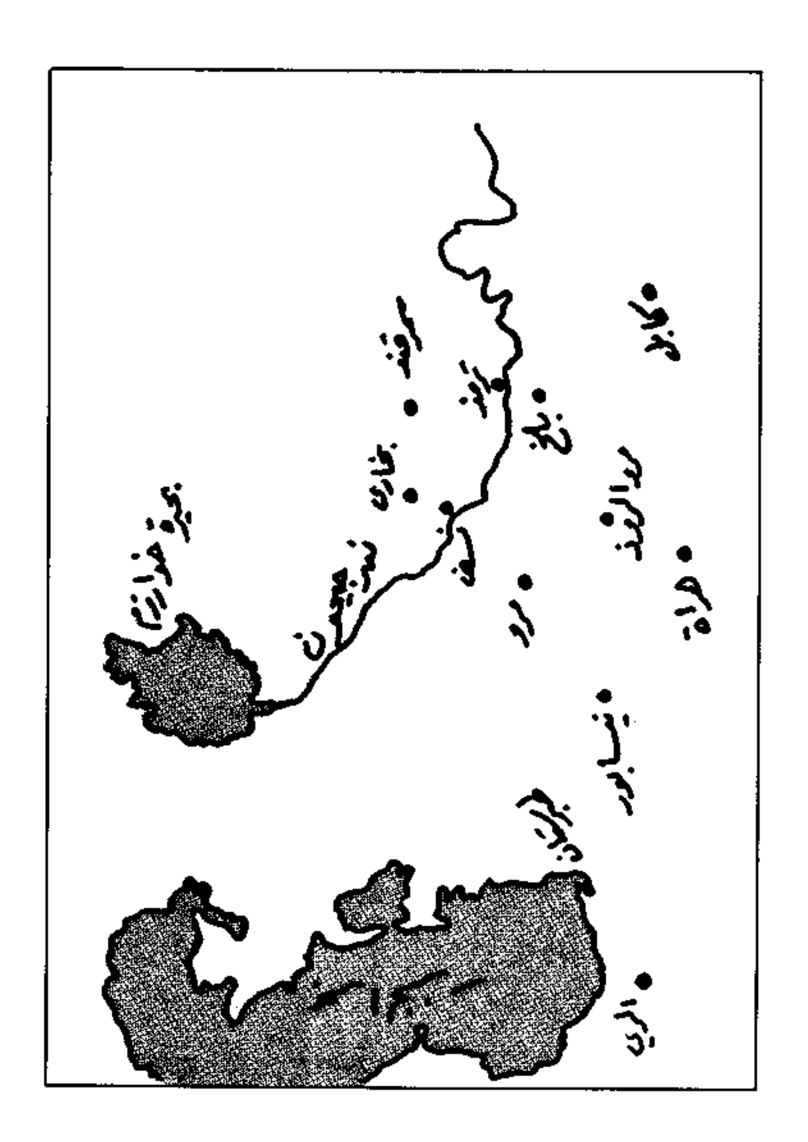
فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه: إن خراسان لم تكن قطّ أسوأ حالاً منها في هذا العام، وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر، فلما أتى الكتاب إلى المنصور ألقاه إلى أبي أيوب، فقال له: قد أبدى صفحته، وقد خلع فلا تناظره.

فوجّه إليه المنصور ابنه محمد المهدي، وأمره بنزول الريّ، فسار إليها المهدي، ووجّه لحربه خازم بن خزيمة مقدمةً له، ثم شخص المهدي فنزل نيسابور. ولما توجّه خازم بن خزيمة إلى عبد الجبار، وبلغ ذلك أهل مرو الروذ، ساروا إلى عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرب، وقاتلوه قتالاً شديداً حتى هُزم فانطلق هارباً حتى لجأ إلى مقطنةٍ، فتوارى فيها، فعبر إليه أحد رجال مرو الروذ، فأخذه أسيراً، فلما قدم خازم أتاه به، فبعث به إلى المنصور مع ولده وأصحابه، فضُربت عنق عبد الجبار، وشُرّد الباقون.

وجد المنصور أن في خراسان نقمة خفية في النفوس لأبي مسلم بشخصه أو للهدف الذي كان يرمي إليه، فإن وليهم أمير فيه ضعف تحرّكوا، وإن كانت فيه شدّة أظهروا له الطاعة والتأييد ثم عملوا بالتحريض وأبدوا العزيمة على الدعم حتى يتحرّك هو، لذا لم يجد المنصور سوى إرسال ابنه محمد المهدي إليهم فكان يقيم في نيسابور أو في غيرها وينوب عنه أحد رجاله، ولكن عينه عن المنطقة لا تغمض ومراقبته للأحداث مستمرة، فكان السري بن عبد الله نائبه على خراسان، ولكن في السنة الأخيرة من خلافة المنصور ولي حميد بن قحطبة أمر خراسان.

٨" ـ السند:

كان موسى بن كعب على شُرَط أبي جعفر المنصور، فأعطاه المنصور ولاية السند، فأرسل موسى ابنه عيينة نائباً عنه، فلما مات موسى سنة ١٤١، خاف وكيله المسيب بن زهير على منصبه بأن يعطيه المنصور إلى عيينة بن موسى، فحرّض المسيّب عيينة فخلع الطاعة، فبعث إليه المنصور عمر بن حفص فانتصر عليه وغلب على البلاد.


بحيرة خوارزم
نهر جيحون
بخارى
سمرقند
نسف
ترمذ
مرو
بلخ
طبرستان
نيسابور
مروالروذ
كابل
الري
هراة

مصور رقم [٢]

ولّى أبو جعفر المنصور على السند عمر بن حفص الصفريّ فأقام بها حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وأخوه إبراهيم بالبصرة، فوجّه محمد ذو النفس الزكية إلى عمر بن حفص بالسند ابنه عبد الله بن محمد، فسار عبد الله مع نفرٍ من الزيدية إلى البصرة فاشتروا خيلاً عتاقاً وانطلقوا بها إلى السند باسم تجار، وعُرضت خيولهم هناك على عمر بن حفص، فالتقوا به، فقال له أحدهم: إنا جئناك بما هو خير لك من الخيل، ومالك فيه خير الدنيا والآخرة، فأعطنا الأمان على خلتين: إما إنك قبلت ما أتيناك به، وإما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين، فأعطاهم الأمان، قالوا: ما للخيل أتيناك، ولكن هذا ابن رسول الله ﷺ، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، أرسله أبوه إليك، وقد خرج بالمدينة، ودعا لنفسه بالخلافة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وغلب عليها، فقال: بالرحب والسعة، ثم بايعهم له، وأمر به فتوارى عنده، ودعا أهل بيته وقواده وكبراء أهل البلد للبيعة، فأجابوه، فقطع الأعلام البيض والأقبية البيض والقلانس البيض، وهيّأ ألبسته من البياض يصعد فيها على المنبر، وتهيّأ لذلك يوم الخميس، فلما كان يوم الأربعاء إذ حراقة قد وافت من البصرة، فيها رسول

لخُليدة بنت المعارك - امرأة عمر بن حفص - بكتاب إليه تخبره بقتل محمد بن عبد الله بن حسن، فدخل على عبد الله فأخبره الخبر، وعزّاه، ثم قال له: إني كنت بايعت لأبيك، وقد جاء من الأمر ما ترى. فقال له: إن أمري قد شُهر، ومكاني قد عُرف، ودمي في عنقك، فانظر لنفسك أو دع، قال: قد رأيت رأياً، هاهنا ملك من ملوك السند، عظيم المملكة، كثير التّبع، وهو على شِرْكه أشدّ الناس تعظيماً لرسول الله ﷺ، وهو رجل وفيّ، فأرسل إليه، فاعقد بينك وبينه عقداً، وأُوجّهك إليه تكون عنده، فلست تَرام معه. قال: افعل ما شئت، ففعل ذلك، فصار إليه، فأظهر إكرامه وبرّه برّاً كثيراً، وتسللت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمائة إنسان من أهل البصائر، فكان يركب فيهم فيصيد، ويتنزّه في هيئة الملوك وآلاتهم، فلما قُتل محمد وإبراهيم انهى خبر عبد الله بن محمد إلى المنصور، فلبلغ ذلك منه، فكتب إلى عمر بن حفص يخبره بما بلغه، فجمع عمر بن حفص قرابته، فقرأ عليهم كتاب المنصور يخبرهم أنه إن أقرَّ بالقصة لم يُنظره المنصور أن يعزله، وإن صار إليه قتله، وإن امتنع حاربه. فقال له رجل من أهل بيته: ألقِ الذنب عليّ، واكتب إليه بخبري، وخذني الساعة فقيّدني، واحبسني، فإنه سيكتب إليك: احمله إليَّ،

فاحملني إليه، فلم يكن ليقدم عليّ لموضعك في السند، وحال أهل بيتك بالبصرة. قال: إني أخاف عليك خلاف ما تظنّ، قال: إن قُتلت أنا فنفسي فداؤك فإني سخيّ بها فداءً لنفسك، فإن حييت فمن الله، فأُمر به فقُيّد وحُبِس، وكتب إلى المنصور يخبره بذلك، فكتب إليه المنصور يأمره بحمله إليه، فلما صار إليه قدّمه فضرب عنقه. ثم مكث يُفكّر من يولّي السند فوقع اختياره على هشام بن عمرو التغلبي، فولّاه إياها، وأمره أن يكاتب ذلك الملك، فإن أطاعه وسلّم إليه عبد الله بن محمد، وإلا حاربه، وكتب إلى عمر بن حفص بولايته إفريقية. فخرج هشام بن عمرو التغلبي إلى السند فوليها، وأقبل عمر بن حفص يخوض البلاد حتى صار إلى إفريقية، فلما صار هشام بن عمرو إلى السند كره أخذ عبد الله، وأقبل يُري الناس أنه يكاتب الملك ويرفق به، فاتصلت الأخبار بأبي جعفر بذلك، فجعل يكتب إليه يستحثّه.

وقُتل عبد الله بن محمد بن عبد الله مع عشرةٍ من أصحابه كانوا عند لقائهم مع جماعةٍ من رجال هشام بن عمرو التغلبي من باب المصادفة، فكتب هشام بذلك إلى المنصور أنه قصده وقتله، فحمد المنصور له أمره.

بقي هشام بن عمرو والياً على السند حتى سنة سبعٍ وخمسين ومائة حيث عزله المنصور، وولّى مكانه معبد بن الخليل.

٩" - إفريقية:

بعد مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في مصر يوم الأحد لثلاثٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، رجع القائد العباسي صالح بن علي إلى الشام بعد أن استخلف على مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وهو من كبار قادته، وكتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره والياً على مصر.

وكان بإفريقية عبد الرحمٰن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري يقاتل الخوارج، وقد تمكّن من هزيمتهم، واستقرت له إفريقية.

ويتساءل المرء لماذا رجع صالح بن علي إلى الشام ولم يتابع إلى إفريقية. هل دخول مصر يكفي لتبعية إفريقية للدولة العباسية التي نشأت؟ هل عدم مقاومة والي إفريقية عبد الرحمٰن بن حبيب الفهري دلالةً لإعلان التبعية؟ هل أخطأ العباسيون بعودة صالح بن علي حيث بقيت إفريقية في شبه فراغٍ سياسي إذ لا ارتباط لها بديار الخلافة، وهذا ما يُشجّع الخوارج

والخارجين عن الطاعة، أم كانت هناك عوامل دفعت صالح بن علي للعودة إلى الشام وعدم السير نحو إفريقية؟

يبدو من متابعة الأحداث أن حالة السكان في الشام قد أجبرت الخليفة للطلب من عمّه صالح بن عليّ الرجوع إلى الشام. والواقع أنه ما أن عاد حتى بدأت الحركات بأقاليم الشام، ذلك أن المتلوّنين الذي كانوا في جيش عبد الله بن عليّ الذي دخل الشام وكان يلاحق مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد تصرّف هؤلاء المتلونون تصرّفاتٍ سيئةً جداً مع السكان، وأعطت أعمالهم صورةً سيئةً عن القادمين الجدد كنبش القبور والقتل الجماعي دون حقٍّ شرعيٍ، وهذا ما جعل سكان الشام يضمرون الحقد على العباسيين ويتحيّنون بهم الفرص، حيث يتحمّل القادة مسؤولية تصرّفات جندهم، وقد نُسب للعباسيين كل ما فعله المتلوّنون الذين كانوا بين جندهم، وأحسّ الخليفة بذلك وأعمامه ولكن بعد فوات الأوان لذا رجع صالح بن علي إلى الشام، ولم يتجه إلى إفريقية.

وقُتل والي القيروان عبد الرحمٰن بن حبيب الفهري سنة ١٣٧ بيد أخويه عبد الوارث وإلياس، وعاد الصراع

إلى إفريقية إذ نشط الخوارج من جديد، كما وقع الصراع بين عبد الوارث بن حبيب وبين ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمٰن، وأظهر عبد الوارث الولاء لبني العباس، وكذا فعل أحد زعماء الخوارج الصفرية وهو عاصم بن جميل، وتوطّدت العلاقة بين عبد الوارث بن حبيب وبين عاصم بن جميل. واستدعى أهل القيروان عاصماً بصفته من مؤيدي بني العباس حسبما يدّعي ويُظهر، وإن لم يكن كذلك، وأخذ أهل القيروان عليه العهود والمواثيق أنه مع بني العباس، وحصل على ثقة الناس، وانضمت أعداد كثيرة إلى قواته.

توجّه حبيب بن عبد الرحمٰن لملاقاة عاصم وقواته من الخوارج الصفرية، واستخلف على القيروان قاضيها أبا كريب، غير أن عاصماً قد انتصر على حبيب، ففر حبيب إلى مدينة قابس، وتوجّه عاصم إلى القيروان، وحاول القاضي أبو كريب صدّ عاصم عن القيروان فخرج إليه بقوةٍ كبيرةٍ، ولكن عندما التقى الجمعان خذل القيروانيون قاضيهم أبا كريب، إذ انضمت أكثريتهم إلى عاصم، فأجهز الخوارج بقيادة عاصم على أبي كريب ومن بقي معه بظاهر القيروان، ودخل عاصم مدينة القيروان وذلك عام ١٣٩.

حاول حبيب بن عبد الرحمٰن استرجاع مدينة

القيروان فسار نحوها غير أنه هُزم أمام عبد الملك بن أبي الجعْد، وقُتل، فقضى الخوارج على الفهريين في المغرب، وغدت لهم السيطرة الكاملة على القيروان وإفريقية كافةً.

كان الخوارج الصفرية قد سيطروا على مناطق المغرب والجزائر، على حين كان الخوارج الأباضيون أصحاب النفوذ في منطقة ليبيا، وشعر الأباضيون أن الخطر عليهم من ناحية الصفرية، لذا قرر أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[1] زعيم الأباضية القيام بالاستيلاء على القيروان فاتجه نحو مدينة قابس فدخلها، وارتحل بعد نحو القيروان فوجّه إليه عبد الملك بن أبي الجعد زعيم الصفرية قوات تحول دون هدفه فانتصر أبو الخطاب عليهم، وتابع سيره نحو

(١) عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني، أبو الخطاب: زعيم الأباضية في إفريقية، كان شجاعاً بطلاً، استولى أول أمره على طرابلس الغرب سنة ١٤٠هـ. وحكم إفريقية المسلمة كلها سنة ١٤١. ووجّه أبو جعفر المنصور أربعين ألفاً بقيادة أمير مصر محمد بن الأشعث، ووقعت خلافات بين قوات أبي الخطاب فقتله محمد بن الأشعث سنة ١٤٤ في سرته مع من بقي معه من أصحابه، وعددهم نحو اثني عشر ألفاً.

القيروان، فخرج له عبد الملك بنفسه والتقى به خارج القيروان، فانتصر أبو الخطاب، وقتل عبد الملك، ودخل الأباضيون القيروان يسنة ١٤١. فولى أبو الخطاب على القيروان عبد الرحمٰن بن رستم، ورجع هو لملاقاة جيش المنصور بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي.

التقى أبو الخطاب مع محمد بن الأشعث فانتصر محمد بن الأشعث على أبي الخطاب وقتله في سرته. ولكن عاد الخوارج الصفرية إلى نشاطهم في المغرب فتمكّن أبو قرة الصفري في إقامة إمارة في تلمسان، واستطاع أبو القاسم سمكو بن واسول من إقامة إمارة أخرى في سجلماسة.

دخل محمد بن الأشعث القيروان سنة ١٤٦، وانتظم له الأمر، وثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان أحد جنده فأخرجه من القيروان سنة ١٤٨ فعاد ابن الأشعث إلى العراق.

كان محمد بن الأشعث قد أرسل قائده الأغلب بن سالم التميمي[1] لمحاربة الخوارج الصفرية في تلمسان،

(١) الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي: أمير، من الشجعان القادة، وهو جد الأغالبة، ملوك إفريقية (تونس) وأول من وليها منهم. كان مع أبي مسلم الخراساني حين=

غير أن الأغلب لم يصل إلى تلمسان، بل اضطر للعودة إلى القيروان إذ ثار الجند وأخرجوا الوالي محمد بن الأشعث من القيروان.

بعث المنصور عهده بولاية القيروان إلى الأغلب بن سالم، ولاحظ الأغلب أن أبا قرة زعيم الصفرية في تلمسان يستعدّ للهجوم على القيروان، فرأى أنه يخرج إليه قبل أن تدهمه جيوش الخوارج الصفرية في مقر ولايته، والتقى الخصمان في إقليم الزاب، فآثر أبو قرة الانسحاب، وقرر الأغلب بن سالم اقتفاء أثره والقضاء على الخوارج في المغرب، وهذا ما جعل أهل تونس يتحركون ضدّه، وقتل سنة ١٥٠. ورجع أبو قرة إلى تلمسان.

وعين الخليفة المنصور والياً جديداً على القيروان هو عمر بن حفص، وعهد إليه بالقضاء على الخوارج من صفريّةٍ وأباضية، وانطلق عمر بن حفص إلى طبنة في وادي الزاب فحصّنها وبنى حولها سوراً ليتقي

= قيامه بالدعوة العباسية، ورحل إلى إفريقية مع محمد بن الأشعث، ثم ولاه المنصور إمارة إفريقية بعد مغادرة محمد بن الأشعث لها، فأقام في القيروان، ووطد الأمور، وانصرف يريد قتال الخوارج الصفرية، غير أن الحسن بن حرب الكندي قد دخل القيروان مع أهل تونس، فعاد الأغلب وقاتل الحسن، فقُتل الأغلب سنة ١٥٠.

هجمات الصفرية، وليتخذ من طبنة قاعدةً للهجوم على الخوارج الصفرية، وللانطلاق إلى معقلهم في تلمسان.

تمّ ائتلاف بين الصفرية والأباضية، واجتمعوا على محاصرته في طبنة، وانطلقت قواتهم وألقت الحصار على طبنة سنة ١٥٣، وليس مع عمر بن حفص سوى خمس عشر ألفاً على حين تزيد قواتهم على الثمانين ألفاً.

عاد الخلاف فوقع بين الفرقتين من الخوارج، إذ انسحبت الصفرية وتركت الحصار، وسارت الأباضية من طرابلس الغرب نحو القيروان لتأخذها، وهذا ما جعل عمر بن حفص يغادر طبنة لينقذ القيروان من أيدي أبي حاتم الأباضي[1] الذي [اتجه] بجماعته نحوها، فدخل عمر القيروان، وجاء أبو حاتم، وجرى قتال، وقُتل عمر، وعجز أبو حاتم عن دخول القيروان، فرجع

---

(١) أبو حاتم الأباضي: يعقوب بن حبيب الكندي بالولاء، من كبار الثائرين في إفريقية، خرج بجمعٍ كبيرٍ من البربر في طرابلس الغرب الذين جعلوا أمرهم إليه سنة ١٥١، وكان شجاعاً فهزم جيوش عمر بن حفص، وحاصره في القيروان، وقتل عمر بن حفص أثناء القتال. ولم يدخل أبو حاتم القيروان، ولكنه رجع واعتصم في جبل نفوسة جنوب طرابلس، واستمر في قتاله إلى أن أرسل الخليفة المنصور جيشاً قوامه ستون ألفاً بقيادة يزيد بن حاتم، فنازله وقُتل أبو حاتم سنة ١٥٥.

إلى معقله في جبل نفوسة، واستمرّ في خروجه على السلطة حتى قتل سنة ١٥٥ في لقائه مع قوات الخلافة التي يقودها يزيد بن حاتم والي إفريقية الجديد.

ورجع الصفرية لقتال الحامية التي تركها عمر بن حفص في طبنة بعد أن غادرها، وبعد أن انتصر على عبد الرحمٰن بن رستم[1]. كما استطاع المهنا بن المخارق بن غفار الطائي من هزيمة أبي قره وردع الصفرية، فعاد أبو قرة إلى مقره في تلمسان.

ويطش يزيد بن حاتم بالخوارج الصفرية في منطقة طرابلس الغرب وإفريقية (تونس) على يد ابنه المهلب بن يزيد، ويد قائده العلاء بن سعيد سنة ١٥٧، كما ضعف شأن الصفرية في الجزائر والمغرب الأقصى.

---

(١) عبد الرحمن بن رستم بن بهرام: مؤسس مدينة تاهرت بالجزائر، وأول من ملك من الرستميين، وكان من فقهاء الأباضية بإفريقية. ولما تغلّب أبو الخطاب على إفريقية استخلفه على القيروان، وزحف محمد بن الأشعث ودخل القيروان، وقتل أبا الخطاب سنة ١٤٤ ففر عبد الرحمن بأهله إلى الغرب، ولحقت به جماعات من الأباضية، فنزل بموضع تاهرت، وكانت غيضة بين ثلاثة أنهار، وفيها آثار عمران قديم، فبنى أصحابه مسجداً، واختطوا مساكنهم، وبايعوه بالإمامة سنة ١٦١ فأقام إلى أن توفي سنة ١٧١. وهو فارسي الأصل، كان جده بهرام من موالي عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

	مكة المكرمة	المدينة	الطائف
١٣٧	العباس بن عبد الله بن معبد	زياد بن عبيد الله	العباس بن عبد الله بن معبد
١٣٨	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله
١٣٩	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله
١٤٠	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله
١٤١	الهيثم بن معاوية	محمد بن خالد القسريّ	الهيثم بن معاوية
١٤٢	الهيثم بن معاوية	محمد بن خالد القسريّ	الهيثم بن معاوية
١٤٣	السري بن عبد الله	محمد بن خالد القسريّ	السري بن عبد الله
١٤٤	السري بن عبد الله	رياح بن عثمان	السري بن عبد الله
١٤٥	السري بن عبد الله	عبد الله بن الربيع	السري بن عبد الله
١٤٦	عبد الصمد بن علي	جعفر بن سليمان	عبد الصمد بن علي
١٤٧	عبد الصمد بن علي	جعفر بن سليمان	عبد الصمد بن علي
١٤٨	عبد الصمد بن علي	جعفر بن سليمان	عبد الصمد بن علي
١٤٩	محمد بن إبراهيم	جعفر بن سليمان	محمد بن إبراهيم
١٥٠	محمد بن إبراهيم	الحسن بن زيد	محمد بن إبراهيم
١٥١	محمد بن إبراهيم	الحسن بن زيد	محمد بن إبراهيم
١٥٢	محمد بن إبراهيم	الحسن بن زيد	محمد بن إبراهيم
١٥٣	محمد بن إبراهيم	الحسن بن زيد	محمد بن إبراهيم
١٥٤	محمد بن إبراهيم	الحسن بن زيد	محمد بن إبراهيم
١٥٥	محمد بن إبراهيم	عبد الصمد بن علي	محمد بن إبراهيم
١٥٦	محمد بن إبراهيم	عبد الصمد بن علي	محمد بن إبراهيم
١٥٧	محمد بن إبراهيم	عبد الصمد بن علي	محمد بن إبراهيم
١٥٨	إبراهيم بن يحيى	عبد الصمد بن علي	إبراهيم بن يحيى

	الكوفة	البصرة	مصر	خراسان
١٣٧	عيسى بن موسى	سليمان بن علي	صالح بن علي	خالد بن إبراهيم
١٣٨	عيسى بن موسى	سليمان بن علي	صالح بن علي	خالد بن إبراهيم
١٣٩	عيسى بن موسى	سفيان بن معاوية	صالح بن علي	خالد بن إبراهيم
١٤٠	عيسى بن موسى	سفيان بن معاوية	صالح بن علي	عبد الجبار بن عبد الرحمن
١٤١	عيسى بن موسى	سفيان بن معاوية	نوفل بن الفرات	المهدي
١٤٢	عيسى بن موسى	سفيان بن معاوية	حميد بن قحطبة	المهدي
١٤٣	عيسى بن موسى	سفيان بن معاوية	نوفل بن الفرات	المهدي
١٤٤	عيسى بن موسى	سفيان بن معاوية	يزيد بن حاتم	المهدي
١٤٥	عيسى بن موسى	سلم بن قتيبة	يزيد بن حاتم	المهدي
١٤٦	محمد بن سليمان	عقبة بن سلم	يزيد بن حاتم	المهدي
١٤٧	محمد بن سليمان	عقبة بن سلم	يزيد بن حاتم	المهدي
١٤٨	محمد بن سليمان	عقبة بن سلم	يزيد بن حاتم	المهدي
١٤٩	محمد بن سليمان	عقبة بن سلم	يزيد بن حاتم	المهدي
١٥٠	محمد بن سليمان	عقبة بن سلم	يزيد بن حاتم	المهدي
١٥١	محمد بن سليمان	جابر بن توبة	يزيد بن حاتم	المهدي
١٥٢	محمد بن سليمان	يزيد بن منصور	محمد بن سعيد	المهدي
١٥٣	محمد بن سليمان	يزيد بن منصور	محمد بن سعيد	المهدي
١٥٤	محمد بن سليمان	عبد الملك بن أيوب	محمد بن سعيد	المهدي
١٥٥	عمرو بن زهير	الهيثم بن معاوية	محمد بن سعيد	المهدي
١٥٦	عمرو بن زهير	سعيد بن دعلج	محمد بن سعيد	المهدي
١٥٧	عمرو بن زهير	عمارة بن حمزة	مطر مولى أبي جعفر	المهدي
١٥٨	عمرو بن زهير	عمارة بن حمزة	مطر مولى أبي جعفر	حميد بن قحطبة

	السند	إفريقية	أمير الحج
١٣٧	عيينة بن موسى	عبد الرحمن بن حبيب	إسماعيل بن علي
١٣٨	عيينة بن موسى		الفضل بن صالح بن علي
١٣٩	عيينة بن موسى		العباس بن محمد بن علي
١٤٠	عيينة بن موسى		الخليفة المنصور
١٤١	عيينة بن موسى		صالح بن علي
١٤٢	عمر بن حفص		إسماعيل بن علي
١٤٣	عمر بن حفص		عيسى بن موسى
١٤٤	عمر بن حفص		الخليفة المنصور
١٤٥	عمر بن حفص		السري بن عبد الله
١٤٦	عمر بن حفص	محمد بن الأشعث	عبد الوهاب بن إبراهيم
١٤٧	عمر بن حفص	محمد بن الأشعث	الخليفة المنصور
١٤٨	عمر بن حفص	محمد بن الأشعث	جعفر بن الخليفة
١٤٩	عمر بن حفص	الأغلب بن سالم	محمد بن إبراهيم
١٥٠	عمر بن حفص	الأغلب بن سالم	عبد الصمد بن علي
١٥١	هشام بن عمرو	عمر بن حفص	محمد بن إبراهيم
١٥٢	هشام بن عمرو	عمر بن حفص	الخليفة المنصور
١٥٣	هشام بن عمرو	عمر بن حفص	محمد المهدي
١٥٤	هشام بن عمرو	عمر بن حفص	محمد بن إبراهيم
١٥٥	هشام بن عمرو	يزيد بن حاتم	محمد بن إبراهيم
١٥٦	هشام بن عمرو	يزيد بن حاتم	العباس بن محمد
١٥٧	معبد بن الخليل	يزيد بن حاتم	إبراهيم بن يحيى بن محمد
١٥٨	معبد بن الخليل	يزيد بن حاتم	إبراهيم بن يحيى بن محمد

بناء بغداد:

وثبت الراوندية على المنصور سنة إحدى وأربعين، واستطاع ـ بإذن الله ـ أن يتخلّص منهم، وكان يُقيم بالهاشمية المتاخمة لهم، فلما تمكّن من الراوندية بقيت منهم بقية غير ظاهرة بالكوفة، فخشي على جنده منهم، فخرج من الكوفة يرتاد لهم موضعاً لبناء مدينةٍ، فسار في الأرض حتى بلغ الجزيرة، فلم يرَ موضعاً أحسن لوضع المدينة ـ من موضع بغداد الذي هي فيه الآن ـ وذلك بأنه موضع يُغدى إليه ويُراح بخيرات ما حوله في البر والنهر، وهو مُحصّن بدجلة والفرات من هاهنا وهاهنا، لايقدر أحد أن يتوصّل إلى موضع الخليفة إلا على جسرٍ، وقد بات به المنصور قبل بنائه ليالي، فرأى الرياح تهب به ليلاً ونهاراً من غير انجعار[1] ولا غبار، ورأى طيب تلك البقعة وطيب هوائها. وقد كان في موضعها قرىً وأديرة لعبّاد النصارى وغيرهم، فحينئذٍ أمر المنصور باختطاطها فرسموها له بالرماد، فمشى في طريقها ومسالكها فأعجبه ذلك، ثم سلّم كل ربعٍ لأميرٍ يقوم على بنائه،

(١) انجعار: تأخير واضطراب وإصدار صوت.

وأحضر من كل البلاد عمّالاً وصنّاعاً ومهندسين، فاجتمع عنده ألوف منهم، ثم كان هو أول من وضع لبنةً فيها بيده، وقال: بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله، وأمر ببنائها مدورةً، سُمك سورها من أسفله خمسون ذراعاً، ومن أعلاه عشرون ذراعاً، وجعل لها ثمانية أبواب في السور البراني، ومثلها في الجواني، وليس كل واحدٍ باتجاه الآخر، ولكن جعله أزور عن الذي يليه، ولهذا سُمّيت بغداد الزوراء، لازورار أبوابها بعضها عن بعضٍ، وقيل: سُمّيت بذلك لانحراف دجلة عندها.

وبُني قصر الإمارة في وسط البلد ليكون الناس منه على حدٍّ سواء، واختُطّ المسجد الجامع إلى جانب القصر، وكان الذي وضع قبلته الحجاج بن أرطأة[1].

وقد شاور المنصور الأمراء في نقل القصر

---

(١) الحجاج بن أرطأة بن ثور النخعيّ: قاضٍ، من أهل الكوفة، كان من رواة الحديث وحفاظه، استفتي وهو ابن ست عشرة سنةً. وولي قضاء البصرة، وتوفي سنة خمسٍ وأربعين ومائة بالريّ أو بخراسان، وكان تيّاهاً معجباً، يُعاب بتغيير الألفاظ في الحديث.

الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل بناء قصر الإمارة بها، فقالوا: لا تفعل فإنه آية في العالم، وفيه مصلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فخالفهم ونقل منه شيئاً كثيراً، فلم يفِ ما تحصل منه بأُجرة ما يُصرف في حمله فتركه. ونقل أبواب قصر واسط إلى أبواب قصر الإمارة ببغداد.

وقيل: وجدت في خزائن المنصور في الكتب أنه أنفق على بناء مدينة السلام ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والأسواق وغير ذلك أربعة آلاف ألفٍ وثمانمائة ألفٍ وثلاثةً وثمانين ألف درهم.

كَمُل بناء مدينة بغداد سنة ستٍّ وأربعين ومائة، وانتقل إليها المنصور، وفي سنة سبعٍ وخمسين ومائة حوّل الأسواق إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول، وأمر بتوسعة الأسواق، وبعد شهرين من ذلك شرع في بناء قصره المسمى بـ«الخلد» فكمل سنة ثمانٍ وخمسين ومائة.

وبنى بعد ذلك جامعاً للصلاة والجمعة للعامة لئلا يدخلوا إلى جامع المنصور، فأما دار الخلافة التي كانت ببغداد بعد ذلك فإنها كانت للحسن بن سهل، فانتقلت من بعده إلى ابنته بوران زوجة المأمون، فطلبها

منها المعتمد فأنعمت له بها، ثم استنظرته أياماً حتى تنتقل منها فأنظرها، فشرعت في تلك الأيام في ترميمها وتبييضها وتحسينها، ثم فرشتها بأنواع الفرش والبسط وعلّقت فيها أنواع الستور، وأرصدت فيها ما ينبغي للخلافة من الجواري والخدم، وألبستهم أنواع الملابس، وجعلت في الخزائن ما ينبغي من الأطعمة والمآكل، وجعلت في بعض بيوتها من أنواع الأموال والذخائر، ثم أرسلت بمفاتيحها إليه، ثم دخلها فوجد فيها ما أرصدته بها، فهاله ذلك واستعظمه جداً، وكان أول خليفةٍ سكنها وبنى عليها سوراً.

وتمّ بناء سور مدينة بغداد، وفرغ من خندقها وجميع أمورها سنة تسعٍ وأربعين ومائة.

وابتدأ المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي من مدينة السلام لابنه محمد المهدي سنة إحدى وخمسين ومائة، وعمل للرصافة سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً، وأجرى له الماء، فكان الماء يجري من نهر المهدي إلى الرصافة.

وبنى المنصور سنة سبعٍ وخمسين ومائة في بغداد قصره المعروف باسم «الخلد» على شاطئ نهر دجلة، ونزله في السنة التالية ١٥٨.

الفصل الثالث

ظهور الأحقاد

كانت هناك أحقاد مخفية في شرقي ديار الإسلام، وقد ظهرت لمن يُفكّر ويسعى وراء العبرة. كان المتلوّنون يُظهرون الإسلام ويُبطنون غيره، يعملون على ضرب الإسلام بإيقاع الفتنة بين أهله، والعمل على حرب بعضهم لبعضٍ، فإذا ما ضعف المسلمون رفع المتلوّنون رؤوسهم، وسعوا لإعادة المجوسية ديانةً، والساسانية دولةً، لقد خططوا، وسعوا، وبذلوا جهداً ضخماً، وكل ذلك سرّاً، وبمكرٍ وخبثٍ.

لقد بدأ مكرهم في وقتٍ مبكرٍ وبعد القضاء على دولتهم وزوال ما كانوا يعتقدون، فكانوا وراء قتل بعض الخلفاء وإثارة الفتنة على آخرين، وإيقاع الخلاف بين الأقاليم حتى وقع خلاف في الاجتهاد بين الخليفة وأحد ولاته وتفاقم الأمر إلى صراعٍ، وهم من الداخل يُذكون نار الفتنة ويُؤجّجونها بما يفترونه من كذبٍ، وبما

يُشيعونه من أباطيل، ولم يُنتبه إلى أمرهم ما داموا يُظهرون الإسلام. فرسول الله ﷺ، يقول: (أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[1]. ويقول: (أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله لا الله، فإذا قالوها، وصلّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حَرُمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)[2] ويقول: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)[3].

ولما آلت الخلافة إلى بني أمية وجّه المتلوّنون سهامهم على بني أمية بصفتهم الخلفاء، وهم المسؤولون، فنبش المتلونون العصبية الجاهلية ومنها المنافسة العشائرية التي كانت بين أبناء العمومة بني

---

(١) رواه البخاري: عن عبد الله بن عمر (٢٥).
(٢) رواه البخاري: عن أنس بن مالك (٣٩٢).
(٣) رواه البخاري: عن عمر بن الخطاب (١٣٩٩) و(٢٩٤٦) و(٦٩٢٤).

هاشم وبني أمية التي محاها الإسلام، وأعلن أنها منسية، وتبرأ منها، وصرّح أنه يَجُبّ كل ما كان قبله. واتخذ المتلوّنون موقفاً بجانب بني هاشمٍ لا حبّاً بهم ولكن لكسب عاطفة المسلمين إلى جانبهم. فعاطفة المسلمين إلى جانب بني هاشم لأن رسول الله ﷺ منهم، وكذلك فهذا الموقف ليس كرهاً لبني أمية بل لأنهم الخلفاء أصحاب المسؤولية، وهم يُمثّلون المسلمين بحكم موقعهم. وبنو هاشم وبنو أمية عند المتلوّنين سواء ما داموا ينتمون إلى الإسلام، ولكن الهدف إيقاع الخلاف بين فريقين قويين من المسلمين لإضعاف الأمة كلها، فأصحاب المسؤولية والسلطة فريق قوي، والذين بجانبهم عاطفة الأمة فريق قوي، والصراع بينهما ينهك الأمة ويذهب ريحها، وهذا ما يسعى إليه المتلوّنون.

وجّه المتلوّنون السهام المسمومة ضد خلفاء بني أمية فافتروا الروايات الباطلة، وأشاعوا الشائعات الكاذبة ضدّهم حتى يُفقدوهم التأييد، ويُعطوا صورةً سيئةً عن الإسلام والمسلمين لدى الأمم الأخرى فتنفر عن الدعوة الإسلامية ورجالها، وبُثّ هذا في الكتب مع الأسف. وعمل المتلوّنون على الصدام بين الفريقين

القويين ولكن لم يتمّ لهم ما أرادوا، إذ لم يكن الخلاف على الصورة التي يحلمون بها.

قامت الدعوة العباسية نتيجة بعض المواقف والظروف، وما أن سمع المتلوّنون بها حتى اتجهوا نحوها، وتركوا ما كانوا يدعون إليه بالأمس وهو إظهار الوقوف إلى جانب الطالبيين، فغيّروا إذن موقعهم وموقفهم، بل ولونهم إذ هم يأخذون اللون الذي يرونه مناسباً.

وضع المتلوّنون ثقلهم إلى جانب العباسيين، وبذلوا جهدهم، وجنّدوا إمكاناتهم كلها، وأخذت كفّة العباسيين ترجح على كفة الأمويين. وما أن شعروا أن قيام الخلافة العباسية أصبح وشيكاً، حتى أخذ المتلوّنون يشحنون المجتمعات حقداً على الخلفاء الجدد، فأساءوا التصرّف في قتالهم إذ نبشوا القبور، وقتلوا الأبرياء، وحمل المسؤولية القادة الذي يُمثّلون الخلفاء الجدد.

كان للمتلوّنين دور كبير في قيام الخلافة العباسية حتى شعر كبارهم أنهم يستطيعون توجيه الخلافة بالوجهة التي يريدون، بل ويستطيعون القضاء عليها في الوقت الذي يرغبون، وزاد هذا الشعور عندما تمكّن

كبيرهم وهو أبو مسلم الخراساني من إزاحة القائد العباسي الأول، عبد الله بن عليّ، عمّ الخليفة الراحل أبي العباس، كما أنه عمّ الخليفة القائم أبي جعفر، وربما توقّع المتلوّنون أن تكون إزاحة هذا القائد مسماراً في نعش الخلافة إذ سيقع القتال بين أفراد الأسرة العباسية الحاكمة. ولكن عبد الله بن عليّ لم يُقتل بل أقام عند أخيه سليمان بن عليّ بالبصرة مدةً، ثم سُلّم إلى ابن أخيه أمير المؤمنين أبي جعفر فأنزله السجن، فكان ذلك التسليم طاعةً لولي الأمر وحتى لا يحدث انشقاق في الأسرة العباسية.

لم يلبث أن قُتل أبو مسلم المنتصر على القائد عبد الله بن عليّ، ورجل الدعوة الأول، بل الذي كان أقوى شخص في الدولة، إذ كان أكثر الأمراء أتباعاً، وأكثر الجند والأفراد يدينون له بالطاعة والولاء. وبمقتل أبي مسلم انهار البيت الذي يعمل المتلوّنون على تشييده، وخاب الأمل الذي يعملون له، وضاع الحلم الذي يحلمون به، وطاش صوابهم، وأخذ بعضهم الأموال ثمن سكوتهم، ولكن لم يلبثوا أن رجعوا إلى سابق عهدهم بالعمل ضدّ الخلافة في سبيل إضعاف المسلمين، والانتصار عليهم، والرجوع إلى دولتهم

القديمة، ودياناتهم القديمة وهذا أملهم، وهذا عملهم على مدى الأيام.

عمل المتلوّنون ضد الخلافة العباسية التي كان لأكتاف رجالهم دور كبير في قيامها، فأخذوا الآن يعملون على مسارين: أولهما: ما سلكه كبارهم من المطالبة بثأر أبي مسلمٍ، وأن روحه تجري في دماء بعضهم، والادّعاء بأنه حيّ يدعو للعمل والثأر والكثير من هذه الخرافات والأباطيل. وأما المسار الثاني: فهو العودة إلى الطالبيين وتحريضهم على أبناء عمومتهم العباسيين كما حرّضوهم من قبل على الأمويين.

وإذا لم يكن المتلوّنون تلك الكثرة الكثيرة إلا أنهم كانوا الموجّهين للحركة المحرّكين للفتنة، وكان يتبعهم أعداء من أصحاب العاطفة والمحبة لآل البيت، فكانوا يُستغلّون من هذا الجانب.

وبذا كان الذين يتحرّكون على الساحة ضد الخلافة فريقين: أولهما فاسد العقيدة، يُبطن غير ما يُظهر؛ فهم أعداء. وفريق صاحب عاطفة طيب القلب، وقد دخلت عليه مع الزمن أخطاء فكرية وأفكار غريبة تصل أحياناً إلى درجة الخطر على العقيدة. فيجب التمييز بين الفريقين، والعمل على إعادة الفريق الثاني إلى طريق الصواب إذ ضلّ الطريق باتباع الفريق الأول.

١" ـ المناداة بثأر أبي مسلم:

أ ـ خروج سنباذ:

خرج سُنباذ بخراسان يُطالب بدم أبي مسلم سنة سبع وثلاثين ومائة إثر مقتل أبي مسلم. كان سُنباذ مجوسياً[١]، وهو من إحدى قرى نيسابور[٢]، وهو من صنائع أبي مسلم، وسيطر على نيسابور، وقومس، والريّ، وتسمّى فيروز أصبهبذ، وأخذ خزائن أبي مسلم بالريّ، وكان أبو مسلم قد خلّفها هناك حين شخص متوجّهاً إلى أبي العباس. وكان عامة أصحاب سُنباذ من أهل الجبال، فوجّه إليهم أبو جعفر قوةً تتألّف من عشرة آلاف مقاتل بقيادة جَهور بن مَرّار العِجلي، فالتقى الفريقان بين الري وهمذان على طرف المفازة فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهُزم سُنباذ، وقُتل من أصحابه في الهزيمة نحوٌ من ستين ألفاً، وسُبيت ذراريهم ونساؤهم، ثم قُتل سُنباذ بين قومس وطبرستان، قتله لونان الطبري.

وكانت مدة خروج سُنباذ سبعين ليلةً من مخرجه إلى مقتله.

---

(١) إن مجوسية سُنباذ تشير إلى عقيدة أتباع أبي مسلم.

(٢) هي قرية «أهن».

ب ـ خروج الراوندية:

والراوندية جماعة من خراسان على رأي أبي مسلم، يقولون بتناسخ الأرواح، أرادوا الفتنة ثأراً لأبي مسلم، فرأوا تعظيم أبي جعفر حتى لا يعترض سبيلهم أحد فيستطيعوا الوصول إلى هدفهم بسهولةٍ ـ حسب تفكيرهم ـ، كما عظموا بعثمان بن نَهيك رئيس حرس المنصور.

جاءت الراوندية سنة إحدى وأربعين ومائة إلى مدينة الهاشمية، وأخذوا يدورون حول قصر أبي جعفر، ويقولون: قصر مولانا. فأرسل أبو جعفر إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم، وقالوا: نحن نُعظّم أمير المؤمنين وهو يسجن رجالنا.

أمر المنصور الراوندية ألا يجتمعوا، فأعدّوا نعشاً وحملوا السرير ـ وليس في النعش أحد ـ ثم مرّوا في المدينة، حتى صاروا على باب السجن، فرموا بالنعش، وشدّوا على الناس، ودخلوا السجن، فأخرجوا أصحابهم، وقصدوا قصر المنصور، وهم يومئذٍ ستمائة رجلٍ، فتنادى الناس، وغُلّقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد، فخرج المنصور من القصر ماشياً، ثم أُتي له بدابةٍ فركبها وهو يريدهم، وجاء

معن بن زائدة[1]، فانتهى إلى أبي جعفر، فرمى بنفسه وترجّل، وأدخل برْكة قبائه في منطقته، وأخذ بلجام دابة المنصور، وقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلا رجعت، فإنك تُكفى، وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر، وقال: أنا اليوم بوّاب، ونودي

---

(١) معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني، أبو الوليد: أحد أبطال الإسلام، ومن أشهر الأجواد العرب، أدرك العصرين الأموي والعباسي، كان من أمراء والي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة، ولما صار الأمر إلى بني العباس طلبه أبو جعفر المنصور، فاختفى معن مدةً، فلما خرجت الراوندية على المنصور، وعندما حمي القتال، وحار المنصور في أمره ظهر معن وهو مقنع بالحديد وقاتل بين يدي المنصور حتى أبعد الناس عنه، فقال المنصور: ويحك من تكون؟ فكشف لثامه، وقال: طِلْبَتُك معن، فسُرّ به وأكرمه وقدّمه وجعله من خواصه.

قيل: دخل معن على المنصور: فقال: كبرت سنّك يا معن، قال: في طاعتك. قال: إنك تتجلّد، قال: لأعدائك. قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

ولي اليمن للمنصور، فسار إليها ولقي فيها بعض الصعوبات. ثم ولي سجستان، فأقام فيها مدة، وابتنى داراً، دخل عليه أناس في زي العمال وقتلوه غيلةً سنة اثنتين وخمسين ومائة، فقتلهم ابن أخيه يزيد بن مزيد.

ولمعن نظم جيد، كما أن للشعراء فيه مديح ورثاء من عيون الشعر.

في أهل السوق فرموهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم، وفُتح باب المدينة فدخل الناس.

وجاء خازم بن خزيمة على فرس محذوف (مقصوص شعر الذنب)، فقال: يا أمير المؤمنين أقتلهم؟ قال: نعم، فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط، ثم كرّوا على خازم فكشفوه وأصحابه، ثم كرّ خازم عليهم فاضطرهم إلى حائط المدينة. وقال للهيثم بن شعبة: إذا كرّوا عليهم فاسبقهم إلى الحائط، فإذا رجعوا فاقتلهم. فحملوا على خازم فاطرد لهم، وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم فقُتلوا جميعاً.

وجاءهم يومئذٍ عثمان بن نَهيك، فكلّمهم، فرجع فرموه بنشابةٍ فوقعت بين كتفيه، فمرض أياماً ومات منها، فصلى عليه أبو جعفر، وقام على قبره حتى دفن، وقال: رحمك الله أبا يزيد، وصيّر مكانه على حرسه عيسى بن نَهيك، فكان على الحرس حتى مات، فجعل على الحرس أبا العباس الطوسيّ.

وجاء يومئذٍ إسماعيل بن عليّ، وقد أُغلقت الأبواب، فقال للبواب: افتح ولك ألف درهم، فأبى. وكان القعقاع بن ضرار يومئذٍ بالمدينة، وهو على شُرَط عيسى بن موسى، فأبلى يومئذٍ، وكان ذلك كله في المدينة الهاشمية بالكوفة.

وجاء يومئذٍ الربيع بن يونس ليأخذ بلجام دابة المنصور، فقال له معن: ليس هذا من أيامك. فلما قُتلت الراوندية جميعاً، وصلى المنصور دعا بالعشاء، وقال: أطلعوا معن بن زائدة، وأمسك عن الطعام حتى جاءه معن، فقال لقُثم: تحوّل إلى هذا الموضع، وأجلس معناً مكان قُثم، فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن عليّ: يا أبا العباس، أسمعت بأشدّ الرجال؟ قال: نعم، قال: لو رأيت اليوم معناً علمت أنه من تلك الآساد، قال معن: والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وإني لوجل القلب، فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدّة الإقدام عليهم، رأيت أمراً لم أره من خلْق في حرب، فشدّ ذلك من قلبي وحملني على ما رأيت مني.

وقال أبو خزيمة: يا أمير المؤمنين، إن لهم بقية، قال: قد وليتك أمرهم فاقتلهم، قال: فأقتل رزاماً فإنه منهم، فعاذ رزام بجعفر بن أبي جعفر، فطُلب فيه فآمنه.

وذُكر عن جعفر بن عبد الله، قال: حدثني الفضل بن الربيع، قال: حدثني أبي، قال: سمعت المنصور يقول: أخطأت ثلاث خطيّاتٍ وقاني الله شرّها: قتلت أبا مسلم وأنا في خرق ومن حولي يقدّم

طاعته ويُؤثرها ولو هُتِكت الخرق لذهبت ضياعاً، وخرجت يوم الراوندية ولو أصابني سهم غَرْب لذهبت ضياعاً، وخرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبت الخلافة ضياعاً.

وذُكر أن معن بن زائدة كان مختفياً من أبي جعفر، لما كان منه من قتاله المسوّدة مع ابن هبيرة مرةً بعد مرةٍ، وكان اختفاؤه عند مرزوق أبي الخصيب، وكان عليه أن يطلب له الأمان، فلما خرج الراوندية أتى الباب فقام عليه، فسأل المنصور أبا الخصيب وكان يلي حجابة المنصور يومئذٍ: من بالباب؟ قال: معن بن زائدة، فقال المنصور: رجل من العرب، شديد النفس، عالم بالحرب، كريم الحسب، أدخله، فلما دخل قال: إيه يا معن! ما الرأي؟ قال: الرأي أن تنادي في الناس وتأمر لهم بالأموال، قال: وأين الناس والأموال؟ ومن يقدم عليّ يعرض نفسه لهؤلاء العلوج! لم تصنع شيئاً يا معن، الرأي أن أخرج فأقف، فإن الناس إن رأوني قاتلوا وأبلوْا وثابوا إليّ، وإن أقمت تخاذلوا وتهاونوا وتراجعوا. فأخذ معن بيده وقال: يا أمير المؤمنين، إذن والله تُقتل الساعة، فأنشدك الله في نفسك! فأتاه أبو الخصيب فقال مثلها، فاجتذب ثوبه منهما، ثم دعا

بدابته، فركب ووثب عليها من غير ركاب ثم سوّى ثيابه، وخرج ومعن آخذ بلجام دابته وأبو الخصيب مع ركابه فوقف. وتوجّه إليه رجل، فقال: يا معن دونك العلج، فشدّ عليه معن فقتله، ثم والى بين أربعةٍ، وثاب إليه الناس، وتراجعوا ولم يكن إلا ساعة حتى أفنوهم، وتغيّب معن بعد ذلك، فقال أبو جعفر لأبي الخصيب: ويلك! أين معن؟ قال: والله لا أدري أين هو من الأرض! فقال: أيظن أن أمير المؤمنين لا يغفر ذنبه بعدما كان من بلائه! أعطه الأمان وأدخله عليّ، فأدخله، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وولّاه اليمن، فقال أبو الخصيب: قد فرّق صلته وما يقدر على شيءٍ، قال له: لو أراد مثل ذلك ألف مرةٍ لقدر عليه.

٣" ـ تحريض الطالبيين:

كان هدف المتلوّنين تحريض المسلمين بعضهم على بعضٍ بإيقاع الفتنة ودعم الجانب الأضعف ليكون هناك تكافؤ فيكون القتال أشدّ والفتنة أنكى فيضعف المسلمون وتذهب ريحهم، ويظهر المتلوِّنون على الساحة فيعملون على إحياء المجوسية وإعادة دولة الفرس، وهذا ما يرسمون له. وقد دعم هؤلاء المتلوِّنون بني هاشم من طالبيين وعباسيين وغيرهم لا

يهمهم بذلك أحد أكثر من غيره، أو دون سواه، المهم أن يقع الخلاف، ويشتدّ الصراع، ويكون القتال، ولينتصر من ينتصر، وليُقتل من يقتل، والغاية إضعاف المسلمين بقتل بعضهم بأيد بعضٍ.

دعم المتلوِّنون بني هاشم ضد بني أمية لأن بني أمية كان الخلفاء منهم فهم الجانب الأقوى، وركّز المتلوّنون على الطالبيين لأن عاطفة المسلمين نحوهم أكثر لمكانة علي بن طالب، رضي الله عنه، من رسول الله ﷺ، كصهرٍ، وابن عمٍّ، وله سابقة، ودور في الجهاد إذ كان في مقدمة الأبطال، كما له فضل في العلم، وأبناؤه وأحفاده من فاطمة، رضي الله عنها، ابنة رسول الله ﷺ، ونسل رسول الله، في فاطمة، رضي الله عنها، فقط.

ولما رأى المتلوّنون نشاط الدعوة إلى بني العباس تركوا الطالبيين وتخلّوا عنهم، واتجهوا نحو الدعوة العباسية حتى إذا تفوّقت على الأمويين، وظهر نجاحها أسرع المتلوَّنون لبثّ الكراهية نحو رجالها بأعمالٍ يقومون بها هم، وما داموا من أتباع رجالها فإن تصرّفاتهم إنما تنسب إلى رجالها. غير أن الدعوة العباسية قد اجتازت العقبات، وتسلمت مقاليد الأمور بإذن الله.

أخذ المتلوّنون يعملون للسيطرة على الدولة العباسية الناشئة وإذا ما تمّ لهم ذلك كان باستطاعتهم السير نحو الهدف الذي يسعون له. وقد ارتفعت مكانة المتلوّنين بعد أن حقّق أبو مسلم الخراساني نصراً على عبد الله بن عليّ حيث غدا أبو مسلم رجل الدولة الأول، وخراسان بيده، وأهلها رجاله، وقادتها أتباعاً له، هذا إضافةً إلى رجاله الذين بثّهم في كل مكانٍ، فما من مِصرٍ إلا وله بين قادته رجال، وما من إقليمٍ إلا وله بين زعمائه أتباع، وكذا في كل حاضرةٍ. وأخذ أبو مسلم يبثّ أنصاره في كل مكانٍ، ويضع أعوانه في كل موقعٍ حسّاسٍ، ويُخطّط للمستقبل القريب، ويرسم للأحداث المرتقبة، ويحلم و.... وإذا بالأحلام تتبدّد، وبالبناء ينهار حيث يُقتل أبو مسلم.

صُعق المتلوّنون لنبأ مقتل أبي مسلم، ولكنهم لا يمكنهم المواجهة، ذلك لأن أعداداً غير قليلةٍ من الذين يُؤيّدونهم إنما يتبعونهم عاطفةً ومحبةً لآل البيت، فإذا ثاروا عليهم انفضّوا من حولهم بل اتجهوا نحو آل البيت، كما أن هناك أعداداً أخرى وإن كانوا يتبعونهم إقليمياً إلا أنهم خارج نطاق دائرة العصبية الجاهلية، وبعيداً عن مجال عاطفة المجوسية القديمة

أو بالأحرى لا يعرفون أهداف المتلوِّنين وإن كانوا معهم، وبالتالي فإن إمكانية المواجهة غير واردةٍ، إذ لو حدثت لكشفت خطر المتلوِّنين، وعرّت حقيقتهم، وربما عملت على إبادتهم، لذا تريّث محرّكوهم، ولكن زُلزل مجتمعهم، واهتزّ كيانهم، فلم يدروا ما العمل!!.

ثار الذين لم يتحمّلوا الصّدمة، وقاموا يُطالبون بثأر أبي مسلم، وقد رفعوه فوق مستوى الآخرين، فمنهم من ادّعى أن روح أبي مسلم قد حلّت فيه حسب الفكر المجوسي، ومنهم من زعم أن أبا مسلم يتمثّل له ويطالبه بالعمل لدين أجداده و.....

وانطلق آخرون نحو الطالبيين يستمدّون القوة من مكانتهم، ويدعونهم لإعلان خلافتهم، وأخذ البيعة من أشياعهم الذي يُؤلّفون الكثرة الكاثرة ـ حسب دعواهم ـ وذلك لتشجيعهم، غير أن الذين يذهبون إليهم لا شكّ من أهل المكانة والعلم والفضل فكان لا يُغريهم الثناء، ولا يريدون العاجلة، يُقدّرون النتائج، ويعرفون العواقب، فيردّون المتلوّنين أو يردّون عليهم بالمحافظة على سلامة الأمة، ووحدة الكلمة، والدعوة إلى الجهاد، والانصراف إلى العلم، فمن هؤلاء مثلاً

عبد الله بن حسن بن الحسن[1]، وجعفر بن محمد بن علي[2]، وإن كان في ذاك الكلام ما يغري من حول هؤلاء الأعلام فيأخذون في دعوة ساداتهم إلى قبول الأمر إذ يرون فيهم الأهلية أكثر من غيرهم، والخيرية دون سواهم، ولكن أهل العلم لا يمتثلون إلا للحق، ولا يرضون إلا بإجماع الأمة، ولا يقبلون سوى

---

(١) عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد: تابعي، من أهل المدينة، ولد سنة سبعين، كان ذا شرفٍ، وهيبةٍ، ولسانٍ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. وعندما ظهر العباسيون قدم على أبي العباس مع جماعة من الطالبيين، فأعطاه ألف ألف درهم، وعاد إلى المدينة. وسجنه المنصور من أجل ولديه محمد وإبراهيم، ثم نقله إلى سجن الكوفة، ومات في السجن سنة خمسٍ وأربعين ومائة.

(٢) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله: ولد في المدينة سنة ثمانين، ويعدّ من التابعين. وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.
كان من جلّة علماء المدينة، وهو شيخ الإمامين أبي حنيفة ومالك. وكان يقول: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر، وكان صداعاً بالحق، جريئاً على الخلفاء العباسيين. وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

الشورى، ولا ينازعون صاحب حقٍ، ويرون في الآخرين الكفاءة، ويتواضعون فيرون في أنفسهم دون الخلافة التي لا يتمثّلونها إلا في الراشدين رضي الله عنهم.

وربما لان بعض أهل العلم والفضل لقبول البيعة تحت إلحاح خاصّتهم لما يرونه فيهم، وقد تكون مرحلة الشباب أدعى للقبول، وربما كان للظروف بعض الأثر، كما حدث لمحمد بن عبد الله بن حسن(١).

---

(١) محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الملقب بالنفس الزكية، وكان يقال له: صريح قريش، لأن أمه وجدّاته لم يكن فيهن أم ولد. كان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء. ولد بالمدينة سنة ثلاثٍ وتسعين، وفيها نشأ. وقيل: إنه لما بدأ الانحلال في دولة بني أمية الشام، اجتمع رجال من بني هاشم سراً، واتفقوا على بيعة محمد بن عبد الله بن حسن، وكان أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور فيمن حضر وبايع. فلما قامت دولة بني العباس كان محمد بن عبد الله وأخوه إبراهيم فيمن تخلّف عنه الحضور على أبي العباس وأبي جعفر، فلم يخف على أبي جعفر ما في نفسيهما، فطلبهما فتواريا بالمدينة، فقبض على أبيهما واثني عشر من أقاربهما وعذّبهم فماتوا، فخرج محمد من مخبئه وثار فسيطر على المدينة، وبايعه أهلها، وملك مكة، وبعث عاملاً له على اليمن، وأرسل أخاه إبراهيم على البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز=

حجّ المنصور سنة أربعٍ وأربعين ومائة، واستخلف على الحيرة والعسكر خازم بن خزيمة، وولّى رباح بن عثمان المزني المدينة، وعزل عنها محمد بن خالد بن عبد الله القسري، وتلقى الناس أبا جعفر المنصور في طريقه إلى الحج، وكان من جملة من تلقّاه عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فأجلسه المنصور معه على السماط، ثم جعل يحادثه بإقبالٍ زائدٍ حتى شُغل المنصور بذلك عن عامة غذائه، وسأله عن ابنيه محمد وإبراهيم لِمَ لا يأتياني مع الناس؟ فحلف عبد الله بن حسن أنه لا يدري أين صارا من أرض الله، وصدق في ذلك، وما ذاك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايعه جماعة من أهل الحجاز

= وفارس. كتب إليه المنصور يحذّره عاقبة عمله، ويُمنّيه بالأمان وواسع العطاء، فأجابه: لك عهد الله إن دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك، وتتابعت بينهما الرسل. فانتدب المنصور لقتاله ولي عهد عيسى بن موسى. فسار إليه عيسى بأربعة آلاف فارس، فقاتله محمد بثلاثمائة على أبواب المدينة، وثبت لهم ثباتاً عجيباً، فقتل منهم بيده في إحدى الوقائع سبعين فارساً، ثم تفرّق عنه أكثر أصحابه، فقتله عيسى بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائة. وكان شديد السمرة ضخماً، يشبهونه في قتاله بالحمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه.

في أوائل[1] دولة مروان بن محمد ـ بالخلافة وخلع مروان. وكان في جملة من بايعه على ذلك ـ أبو جعفر المنصور، وذلك قبل تحويل الدولة إلى بني العباس، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن حسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً.

وذلك لأن المنصور توهّم منهما أنهما لا بد أن يخرجا عليه كما أرادا أن يخرجا على مروان، والذي توهّم منه المنصور وقع فيه، فذهبا هرباً في البلاد الشاسعة فصارا إلى اليمن، ثم سارا إلى الهند فاختفيا بها، فدلّ على مكانهما الحسن بن زيد[2] فهربا إلى

(١) جاء في الأصل (أواخر) غير أنه في أواخر دولة مروان كان قد بويع لأبي العباس وأخذ يحاربه.

(٢) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، ابن عم والد محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية): أمير المدينة، ووالد السيدة نفيسة. كان من الأشراف النابهين، شيخ بني هاشم في زمانه. استعمله المنصور على المدينة خمس سنين، ثم عزله، وخافه على نفسه، فحبسه ببغداد، فلما ولي المهدي أخرجه، واستبقاه معه، ولد في المدينة عام ثلاثة وثمانين وتوفي بالحاجر (على خمسة أميال من المدينة) وهو في طريقه إلى الحج مع المهدي وذلك سنة ثمانٍ وستين ومائة.

موضعٍ آخر، فاستدلّ عليه الحسن بن زيد ودلّ عليهما ثمَّ كذلك. وانتصب والياً عليهما عند المنصور، والعجب منه أنه من أتباعهما. واجتهد المنصور بكل طريقٍ على تحصيلهما فلم يتفق له ذلك. فلما سأل أباهما عنهما حلف أنه لا يدري أين صارا في أرض الله. ثم ألحّ المنصور على عبد الله في طلب ولديه فغضب عبد الله من ذلك وقال: والله لو كانا تحت قدميّ ما دللتك عليهما، فغضب المنصور وأمر بسجنه، وأمر ببيع رقيقه وأملاكه، فلبث في السجن ثلاث سنين، وأشاروا على المنصور بحبس بني حسن عن آخرهم فحبسهم، وجدّ في طلب محمد وإبراهيم جداً، هذا وهما يحضران الحج في غالب السنين ويكمنان في المدينة في غالب الأوقات، ولا يشعر بهما من ينم عليهما ـ ولله الحمد ـ والمنصور يعزل والياً عن المدينة ويُولّي عليها غيره، ويُحرّضه على إمساكهما والفحص عنهما، وبذل الأموال في طلبهما، وتعجزه المقادير عنهما، لما يريده الله عزّ وجلّ.

وقد واطأهما على أمرهما أمير من أمراء المنصور يقال له: أبو العساكر خالد بن حسّان، فعزموا في بعض مواسم الحج على الفتك بالمنصور بين الصفا والمروة،

فنهاهم عبد الله بن حسن لشرف البقعة، وقد اطلع المنصور على ذلك وعلم بما مالأهما ذلك الأمير، فعذّبه حتى أقرّ بما كانوا تمالؤوا عليه من الفتك به. فقال: وما الذي صرفكم عن ذلك؟ فقال: عبد الله بن حسن نهانا عن ذلك، فأمر به الخليفة فغُيِّب في الأرض فلم يظهر حتى الآن. وقد استشار المنصور من يعلم من أمرائه ووزرائه من ذوي الرأي في أمر ابني عبد الله بن حسن، وبعث الجواسيس والقصّاد في البلاد فلم يقع لهما على خبر، ولا ظهر لهما على عينٍ ولا أثر، والله غالب على أمره.

وقد جاء محمد بن عبد الله بن حسن إلى أمه فقال: يا أمه إني قد شفقت على أبي وعمومتي، ولقد هممت أن أضع يدي في يد هؤلاء لأريح أهلي. فذهبت أمه إلى السجن فعرضت عليهم ما قال ابنها، فقالوا: لا، ولا كرامة، بل نصبر على أمره، فلعل الله يفتح على يديه خيراً، ونحن نصبر، وفرجنا بيد الله إن شاء فرّج عنا، وإن شاء ضيّق. واتفقوا كلهم على ذلك ـ رحمهم الله ـ.

ونقل آل حسن من حبس المدينة إلى حبس العراق سنة أربعٍ وأربعين ومائة، وفي أرجلهم القيود، وفي

أعناقهم الأغلال. وكان ابتداء تقييدهم من «الربذة» بأمرٍ من أبي جعفر المنصور، وقد أشخص معهم محمد بن عبد الله العثماني[1]، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه، وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وقد حملت قريباً، فاستحضره الخليفة معهم[2] و....

ولما انتهوا إلى العراق حبسوا بالهاشمية وكان معهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وكان جميلاً فتياً. وهلك عدد منهم في السجن ومنهم عبد الله بن حسن.

وجاء أهل خراسان يشفعون في محمد بن عبد الله العثماني فضُربت عنقه.

وكان المتلوّنون لا يتركون سبيلاً يستطيعون فيه الوصول إلى محمد بن عبد الله إلا وادّعوا نصرته

(١) محمد بن عبد الله العثماني: محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، أبو عبد الله: وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي. روى الحديث عن أمه وأبيه، وعن خارجة بن زيد، وطاووس، وأبي الزناد، والزهري، ونافع وغيرهم. وكانت ابنته «رقية» زوجة ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله. وكان كريماً جواداً.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

والوقوف إلى جانبه، وأنه الأكثر أحقيةً بالخلافة، وهذا دينهم فكم وعدوا وأخلفوا، وعاهدوا ونكثوا، وادّعوا وخذلوا، وقالوا وكذبوا. لقد سبق لهم أن خذلوا رابع الراشدين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وتكلّم عن خذلانهم كثيراً، وخذلوا ريحانتي هذه الأمة الحسن والحسين، رضي الله عنهما، كما رفضوا زيد بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وخذلوه و... وفي الوقت نفسه كان فريق منهم يُحّرض أبا جعفر المنصور على محمد بن عبد الله بن حسن، ويدعوه إلى ملاحقته، وعدم التهاون من شأنه، ويأمل المتلوّنون أن يكون صراع بين الطالبيين والعباسيين، صراع يضعف الفريقين وبالتالي يضعف شأن المسلمين، ويفسح المجال لسير المتلوّنين في طريقهم نحو هدفهم.

خروج محمد بن عبد الله:

ما كان من محمد ذي النفس الزكية إلا أن يخرج بعد أن أصاب أهله ما أصابهم من سجنٍ وإهانةٍ أثناء نقلهم من سجن المدينة إلى سجن العراق، وما نالهم من إساءةٍ في سجن العراق، وما لحق بكبارهم من قتلٍ.

وكان محمد بن عبد الله مختفياً بالمدينة، وقد اختفى مرةً في بئر نزل في مائه كله إلا رأسه، وباقيه مغمور بالماء.

إن ما نال محمد من عذابٍ نتيجة الاختفاء، وما أصابه من ألمٍ على أبيه وأهله، وما لحق به من إلحاح نائب المدينة رباح بن عثمان في طلبه ليلاً ونهاراً، وهذا إضافةً إلى حثّ بعض أهل المدينة وغيرهم على الخروج بل تأنيبه على عدم الخروج، كل هذا جعله يتفق هو وأخوه إبراهيم على الخروج وهو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة. واشتدّ به الأمر وضاق الحال فتواعد مع أصحابه في ليلةٍ معينةٍ على الخروج. فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الوشاة إلى متولّي المدينة، فأعلمه بذلك، فضاق ذرعاً، وانزعج لذلك انزعاجاً شديداً، وركب في جحافله فطاف بالمدينة وحول دار مروان، وهم مجتمعون بها، فلم يشعر بهم.

فلما رجع إلى منزله بعث إلى بني حسين بن عليّ، فجمعهم ومعهم رؤوس من سادات قريشٍ وغيرهم، فوعظهم وأنّبهم، وقال: يا معشر أهل المدينة، أمير المؤمنين يطلب هذا الرجل في المشارق والمغارب، وهو بين أظهركم، ثم ما كفاكم حتى

بايعتموه على السمع والطاعة، والله لا يبلغني عن أحدٍ منكم خرج معه إلا ضربت عنقه. فأنكر الذين هم هنالك حاضرون أن يكون عندهم علم أو شعور بشيءٍ من هذا، وقالوا: نحن نأتيك برجالٍ مُسلّحين يُقاتلون دونك إن وقع شيء من ذلك. فنهضوا، فجاءوا بجماعةٍ مُسلّحين، فاستأذنوه في دخولهم عليه، فقال: لا إذن لهم، إني أخشى أن يكون ذلك خديعةً، فجلس أولئك على الباب ومكث الناس جلوساً حول الأمير، وهو واجم لا يتكلم إلا قليلاً حتى ذهبت طائفة من الليل، ثم ما فُجِئ الناس إلا و أصحاب محمد بن عبد الله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير، فانزعج الناس في جوف الليل، وأشار بعض الناس على الأمير أن يضرب أعناق بني حسين. فقال أحدهم: علامَ ونحن مقرون بالطاعة؟ واشتغل الأمير عنهم بما جاء من الأمر، فاغتنموا الغفلة ونهضوا سراعاً، فتسوّروا جدار الدار، وألقوا أنفسهم على كناسةٍ هناك.

وأقبل محمد بن عبد الله بن حسن في مائتين وخمسين، فمّر بالسجن فأخرج من فيه، وجاء دار الإمارة فحاصرها، فافتتحها، ومسك الأمير رياح بن عثمان بن حيّان المريّ نائب المدينة فسجنه في دار

مروان، وسجن معه ابن مسلم بن عقبة، وهو الذي أشار بقتل بني حسين في أول هذه الليلة، فنجوا وأُحيط به. وأصبح محمد بن عبد الله بن حسن، وقد استظهر على المدينة ودان له أهلها، فصلّى بالناس الصبح، وقرأ فيها سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾. وأسفرت هذه الليلة عن مستهل رجب من سنة خمسٍ وأربعين ومائة. وقد خطب محمد بن عبد لله أهل المدينة في هذا اليوم، فتكلم في بني العباس، وذكر عنهم أشياء ذمّهم بها، وأخبرهم أنه لم ينزل بلداً من البلدان إلا وقد بايعوه على السمع والطاعة، فبايعه أهل المدينة كلهم إلا القليل[1].

وقد قال له إسماعيل بن عبد الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعته: يا ابن أخي إنك مقتول. فارتدع بعض الناس عنه[2]، واستمر جمهورهم معه، فاستناب عليهم عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله المخزومي، وعلى شرطتها عثمان بن عبد الله بن عمر بن الخطاب،

(١) البداية والنهاية - ابن كثير.

(٢) هؤلاء الذين تركوا ممن بايعوا هم من المتلونين، وهذه عادتهم.

وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن مسور بن مخرمة، وتلقّب بالمهدي طمعاً في أن يكون هو المذكور في الأحاديث.

وقد ارتحل بعض أهل المدينة ليلة دخلها[1]، فطوى المراحل البعيدة إلى المنصور في سبع ليالٍ، فورد عليه فوجده نائماً في الليل، فقال للربيع الحاجب: استأذن إليّ على الخليفة، فقال: إنه لا يوقظ في مثل هذه الساعة. فقال: إنه لا بدّ من ذلك. فأخبر الخليفة فخرج، فقال: ويحك ما وراءك؟ فقال: إنه خرج ابن حسن بالمدينة. فلم يُظهر المنصور لذلك اكتراثاً وانزعاجاً بل قال: أنت رأيته؟ قال: نعم. قال: هلك والله وأهلك معه من اتبعه. ثم أمر بالرجل فسُجِن. ثم جاءت الأخبار بذلك فتواترت، فأطلقه المنصور، وأطلق له عن كل ليلةٍ ألف درهمٍ، فأعطاه سبع آلاف درهم.

وأشار الناس على الخليفة بمناجزة محمد بن عبد الله بن حسن، فاستدعى ولي عهده عيسى بن موسى فندبه لذلك، ثم قال: إني سأكتب إليه كتاباً أنذره به قبل قتاله، فكتب إليه:

---

(١) ارتحل بعض المتلونين الذين كانوا يقيمون بالمدينة موقتاً.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾[1]. ولك عليّ عهد الله وميثاقه وذِمّته وذِمّة رسول الله ﷺ، إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتّبعكم على دمائكم وأموالكم، وأسوّغك ما أصبت من دمٍ أو مالٍ، وأعطيك ألف ألف درهمٍ، وما سألت من الحوائج، وأنزلك من البلاد حيث شئت، وأن أطلق مَنْ في حبسي من أهل بيتك، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك، أو دخل معك في شيءٍ من أمرك، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيءٍ كان منه أبداً. فإن أردت أن تتوثق لنفسك، فوجّه إليّ من أجبت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به.

(١) سورة المائدة: الآيتان ٣٣، ٣٤.

فكتب إليه محمد بن عبد الله:.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾[1]. وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت عليّ، فإن الحق حقنا، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا[2]، وحظيتم بفضلنا و....

ثم أجاب أبو جعفر المنصور مُفنّداً ما ادعاه محمد بن عبد الله بن حسن.

بعث محمد بن عبد الله بن حسن في غضون ذلك

---

(١) سورة القصص: الآيات ١ ـ ٦.

(٢) سبق أن قلنا: إن المتلونين شيعة القوي، وهدفهم الخلاف بين المسلمين، فهم يتنقلون ويتلوّنون.

رسولاً إلى أهل الشام يدعوهم إلى بيعته وخلافته، فأبوا قبول ذلك منه، وقالوا: قد ضجرنا من الحروب ومللنا من القتال.

وجعل محمد بن عبد الله يستميل رؤوس أهل المدينة، فمنهم من أجابه، ومنهم من امتنع عليه، وقال له بعضهم: كيف نبايعك وقد ظهرت في بلدٍ ليس فيه مالٍ تستعين به على استخدام الرجال؟ ولزم بعضهم منزله فلم يخرج حتى قُتل محمد.

وبعث محمد بن عبد الله إلى مكة الحسن بن معاوية في سبعين رجلاً ونحواً من عشرة فوارس نائباً إن هو دخلها، فساروا إليها، فلما بلغ أهلها قدومهم خرجوا إليهم في ألوفٍ من المقاتلة، فقال لهم الحسن بن معاوية: علام تقاتلون وقد مات أبو جعفر؟ فقال السري بن عبد الله أمير مكة: إن بُرُدَه جاءتنا من أربع ليالٍ، وقد أرسلت إليه كتاباً، فأنا أنتظر جوابه إلى أربعٍ، فإن كان ما تقولون حقاً سلمتكم البلد، وعليّ مؤونة رجالكم وخيلكم. فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة، وحلف لا يبيت الليلة إلا بمكة، إلا أن يموت. وأرسل إلى السريّ أن ابرز من الحرم إلى الحلّ حتى لا تراق الدماء في الحرم، فلم

يخرج، فتقدّموا إليهم فصافّوهم، فحمل عليه الحسن بن معاوية وأصحابه حملةً واحدةً فهزموهم، وقتلوا منهم نحو سبعةٍ، ودخلوا مكة، فلما أصبحوا خطب الحسن بن معاوية الناس، وأغراهم بأبي جعفر، ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدي. وأرسل عاملاً له إلى اليمين، وهو القاسم بن إسحاق.

وعندما خرج الحسن بن معاوية من المدينة باتجاه مكة قال لمحمد بن عبد الله بن حسن: أرأيت إن التحم القتال بيننا وبينهم، ما ترى في السريّ؟ قال: يا حسن، إن السريّ لم يزل مجتنباً لما كرهنا، كارهاً للذي صنع أبو جعفر، إن ظفرت به فلا تقتله، ولا تحركنّ له أهلاً، ولا تأخذنّ له متاعاً، وإن تنحّى فلا تطلبنّ له أثراً. فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين، ما كنت أحسبك تقول هذا في أحدٍ من آل العباس، قال: بلى، إن السريّ لم يزل ساخطاً لما صنع أبو جعفر.

خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن[1]:

وخرج بالبصرة إبراهيم بن عبد الله أخو محمد بن

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أحد الأمراء الأشراف الشجعان، ولد بالمدينة سنة=

عبد الله. وجاء البريد إلى أخيه محمد، فانتهى إليه ليلاً، فاستؤذن له عليه وهو بدار مروان، فطرق بابها. فقال: اللهم إني أعوذ بك من شرّ طوارق الليل والنهار - إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن - ثم خرج فأخبر أصحابه عن أخيه، فاستبشروا جداً، وفرحوا كثيراً، وكان يقول للناس بعد صلاة الصبح والمغرب: ادعوا لإخوانكم أهل البصرة، وللحسن بن معاوية بمكة، واستنصروه على أعدائكم.

تغلّب إبراهيم على البصرة، وتمّت له السيطرة على واسط، والأهواز، وفارس، واضطر المنصور أن ينتقل إلى الكوفة ليكون قريباً من خصمه، فهاجم إبراهيم الكوفة، وجرت معارك عنيفة بين الفريقين. ثم ضعف أمره لما جاءه خبر مقتل أخيه محمد بالمدينة.

جهّز أبو جعفر المنصور الجيوش وجعل ولي

= سبع وتسعين. خرج بالبصرة على المنصور، فبايعه أربعة آلاف مقاتل، وخافه المنصور فتحوّل إلى الكوفة. تغلّب إبراهيم على البصرة، وسيّر القوات إلى الأهواز، وواسط، وفارس، وهاجم الكوفة، وكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع حتى قتله حميد بن قحطبة وذلك سنة خمس وأربعين ومائة. كان شاعراً عالماً بأخبار العرب وأيامهم.

عهده عيسى بن موسى قائداً لعشرة آلاف فارس من الشجعان المنتخبين.

سار عيسى بن موسى إلى محمد بن عبد الله بن حسن في المدينة، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة، وعلى ميمنته محمد بن أبي العباس السفاح، وعلى ميسرته داود بن كِرّاز من أهل خراسان، وعلى الساقة الهيثم بن شعبة، ومعه جعفر بن حنظلة البهراني.

واشتدّت الحرب بين الفريقين، وقتل محمد بن عبد الله بيده سبعين رجلاً من جيش عيسى بن موسى، ولكن رجحت كفة أهل العراق بالكثرة، ودخلوا المدينة، فتنادى أصحاب محمد: أخذت المدينة، فهرب أكثرهم، وبقي عدد قليل منهم مع محمد بن عبد الله، ثم بقي وحده، فأُصيب. وكان مقتله يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة ليلةً خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة. وقد مكث من حين ظهر إلى أن قُتل شهرين وسبعة عشر يوماً.

دخل عيسى بن موسى المدينة بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن، وآمن الناس كلهم. وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسع عشر من رمضان، ثم خرج منها قاصداً مكة، وكان بها الحسن بن معاوية، من جهة محمد،

وكان محمد قد كتب إليه يقدم عليه، فلما خرج من مكة ـ وكان ببعض الطريق ـ تلقته الأخبار بقتل محمد، فاستمرّ فاراً إلى البصرة إلى أخي محمد هناك إبراهيم بن عبد الله، الذي كان قد خرج بها.

استخلف عيسى بن موسى على المدينة قبل أن يخرج إلى مكة كثير بن حصين، فمكث والياً عليها شهراً، ثم قدم عبد الله بن الربيع الحارثي والياً عليها من قبل أبي جعفر المنصور.

أما إبراهيم بن عبد الله فكان قد هرب إلى البصرة فنزل في بني ضُبَيعة من أهل البصرة في دار الحارث بن عيسى، وكان لا يُرى بالنهار، وكان قدومه إليها بعد أن طاف بلاداً كثيرةً. وكان آخر ما استقرّ أمره بالبصرة في سنة ثلاثٍ وأربعين ومائة بعد منصرف الحجيج. وكان يدعو في السر إلى أخيه، فلما قُتل أخوه أظهر الدعوة إلى نفسه في شوال من سنة خمسٍ وأربعين ومائة.

ولما قدم البصرة نزل عند يحيى بن زياد بن حسان النبطيّ، فاختفى عنده المدة كلها، ثم ظهر في سنة خمسٍ وأربعين ومائة في دار أبي فروة، وبايعته جماعة من أهل البصرة، وندبوا الناس إليه، فاستجاب له خلق كثير فتحوّل إلى دار أبي مروان في وسط البصرة،

واستفحل أمره، وتفاقم الخطب به، وبلغ خبره إلى المنصور فازداد غمّاً إلى غمّه بأخيه محمد، وذلك لأنه ظهر قبل مقتل أخيه، وإنما كان سبب تعجيله الظهور ـ كتاب أخيه إليه، فامتثل أمره ودعا إلى نفسه، فانتظم أمره بالبصرة، وكان نائبها من جهة المنصور سفيان بن معاوية، وكان ممالئاً لإبراهيم هذا في الباطن، ويَبْلُغه أخباره فلا يكترث بها، ويكذب من أخبره، ويودّ أن يتضح أمر إبراهيم.

أمدّ المنصور واليه على البصرة بأميرين من أهل خراسان معهما ألفا فارسٍ وراجلٍ، فأنزلهما عنده ليتقوّى بهما على محاربة إبراهيم. وتحوّل المنصور من بغداد ـ وكان قد شرع في عمارتها ـ إلى الكوفة، وجعل كلما اتهمّ رجلاً من أهل الكوفة في أمر إبراهيم بعث إليه من يقتله في الليل في منزله. وكان الفرافصة العِجْليّ قد همّ بالوثوب بالكوفة فلم يمكنه ذلك لمكان المنصور بها. وجعل الناس يقصدون البصرة من كل فجٍّ لمبايعة إبراهيم، ويفدون إليها جماعاتٍ وفرادى، وجعل المنصور يرصد لهم المسالح فيقتلونهم في الطريق.

ولما كانت ليلة الاثنين مستهل رمضان سنة خمسٍ وأربعين ومائة خرج إبراهيم بن عبد الله في الليل إلى

مقبرة بني يشكر في بضعة عشر فارساً، وقدم في هذه الليلة أبو حماد الأبرص في ألفي فارسٍ مدداً لسفيان بن معاوية، فأنزلهم الأمير في القصر، ومال إبراهيم وأصحابه على دواب أولئك الجيش وأسلحتهم فأخذوها جميعاً، فتقووا بها، فكان هذا أول ما أصاب. وما أصبح الصباح إلا وقد استظهر جداً فصلى بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع، والتفّ الخلائق عليه ما بين ناظرٍ وناصرٍ، وتحصّن سفيان بن معاوية نائب الخليفة بقصر الإمارة، وحبس الجنود عنده فحاصرهم إبراهيم، فطلب سفيان بن معاوية الأمان من إبراهيم فأعطاه إياه، ودخل إبراهيم قصر الإمارة، وأمر بحبس سفيان بن معاوية مُقيّداً. وأراد بذلك براءة ساحته عند المنصور، واستحوذ على ما كان في بيت المال، فإذا فيه ستمائة ألفٍ، وقيل: ألفا ألفٍ. فقوي بذلك جداً.

وكان في البصرة جعفر ومحمد ابنا سليمان بن عليّ أمير البصرة السابق، وهما: ابنا عم الخليفة المنصور، فركبا في ستمائة فارسٍ إليه، وأركب إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلاً فهزم ستمائة فارسٍ كانت لهما وأمّن من بقي منهم.

وبعث إبراهيم إلى أهل الأهواز فبايعوه وأطاعوه، وأرسل إلى نائبها مائتي فارسٍ عليهم المغيرة، فخرج إليه محمد بن الحصين نائب الأهواز في أربعة آلافٍ فهزمه المغيرة واستحوذ على البلاد.

وبعث إبراهيم إلى فارس فأخذها، وكذلك واسط، والمدائن، والسواد، واستفحل أمره جداً. ولكن لما جاءه نعي أخيه محمد انكسر جداً، وصلى بالناس يوم العيد وهو مكسور. فقال بعضهم: والله لقد رأيت في وجهه وهو يخطب الناس، فنعى إلى الناس أخاه محمداً، فازداد الناس حنقاً على المنصور، وأصبح فعسكر بالناس واستناب على البصرة نُمَيلة بن مرة ـ وكان أول من بايعه ـ وخلف ابنه حسناً معه.

ولما بلغ المنصور خبره تحيّر في أمره، وجعل يتأسّف على ما فرّق من جنده في الأمصار، إذ كان قد بعث مع ابنه المهدي ثلاثين ألفاً إلى الريّ، وبعث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقية أربعين ألفاً، والباقون مع عيسى بن موسى بالحجاز، ولم يبق مع المنصور سوى ألفي فارسٍ. وكان يأمر بالنيران الكثيرة، فتوقد ليلاً، فيحسب الناظر إليها أن ثمّ جنداً كثيراً.

ثم كتب المنصور إلى عيسى بن موسى: إذا قرأت

كتابي هذا فأقبل من فورك ودع كل ما أنت فيه، فلم يلبث أن أقبل إليه، فقال له: اذهب إلى إبراهيم بالبصرة، ولا يهولنّك كثرة من معه، فإنهم جملا بني هاشم المقتولان جميعاً، فابسط يدك وثق بما عندك وستذكر ما أقول لك. فكان الأمر كما قال المنصور.

وكتب المنصور إلى ابنه المهدي أن يُوجّه خازم بن خزيمة في أربعة آلافٍ إلى الأهواز، فذهب إليها، فأخرج منها نائب إبراهيم ـ وهو المغيرة ـ وأباحها ثلاثة أيامٍ، ورجع المغيرة إلى البصرة. وكذلك بعث المنصور إلى كل كورةٍ من هذه الكور التي نقضت بيعته جنداً يردّون أهلها إلى الطاعة.

وأقبل إبراهيم بن عبد الله بعساكر من البصرة إلى الكوفة في مائة ألف مقاتلٍ، فأرسل إليه المنصور خمسة عشر ألفاً بقيادة عيسى بن موسى، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلافٍ. وجاء إبراهيم فنزل في «باخمرى» في جحافل عظيمةٍ.

وأقبل الجيشان فتصافّوا في «باخمرى» وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، فانهزم حميد بن قحطبة بمن معه من المقدمة، فجعل عيسى يناشدهم الله في الرجوع والكرّة، فلا يلوي عليه

أحد. وثبت عيسى بن موسى في مائة رجلٍ من أهله، فقيل له: لو تنحيّت من مكانك هذا لئلا يحطمك جيش إبراهيم. فقال: والله لا أزول منه حتى يفتح الله لي أو أُقتل هاهنا. وكان المنصور قد تقدّم إليه، فاستمّر المنهزمون فارّين حتى انتهوا إلى نهر بين جبلين، فلم يمكنهم خوضه فكرّوا راجعين جميعاً، وكان أول راجعٍ حميد بن قحطبة الذي كان أول من انهزم، ثم اجتلدوا هم وأصحاب إبراهيم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل من كلا الفريقين خلق كثير، ثم انهزم أصحاب إبراهيم، وثبت هو في خمسمائةٍ، واستظهر عيسى بن موسى وأصحابه، وقُتل إبراهيم في جملة من قُتل. وكان مقتله يوم الخميس لخمسٍ بقين من ذي الحجة سنة خمسٍ وأربعين ومائة، أي أن ظهوره كان أربعة أشهر إلا خمسة أيام (من مستهل رمضان إلى الخامس والعشرين من ذي الحجة) كان منها خمسة عشر يوماً قبل مقتل أخيه.

هذه الفتنة التي أشعلتها أحقاد المتلوّنين بين بني العباس والطالبيين، والتي أشغلت الخلافة سنةً، وأزهقت أرواح عشرات الآلاف، وكلّفت الدولة الملايين، وأثارت الرعب، وسببت الفوضى، وأوقف

الجهاد، وأتلفت الكثير و.... هذا فقط أيام أبي جعفر المنصور حيث لم تنته إذ استمرّت طيلة العهد العباسي صراعاً بين الطالبيين والخلافة. لقد أوجدت شرخاً لا يلتئم أبداً بين هذين الجناحين من بني هاشمٍ أسرة رسول الله ﷺ، وآل بيته الكرام، وهذا ما يعمل له المتلوّنون الذين أصبحوا يدّعون أنهم أشياع الطالبيين، ذلك لأن أحقادهم تجعلهم يثيرون الرعية ضد الخلافة، ولما لم يتسلّم الطالبيون الخلافة فهم يدّعون أنهم معهم، ويزعمون لهم أنهم أصحابها الشرعيون، وأهلها، ويختلقون لهم الأكاذيب في سبيل تأييد ذلك، ومن أجل تهديم المجتمع الإسلامي والانتهاء منه، ودليل كذبهم وزورهم وتلوّنهم أنهم تخلّوا عن الطالبيين، وأهملوهم وعزلوهم جانباً عندما وجدوا في الدعوة العباسية قوةً يمكنها مقاومة الخلافة الأموية وإشعال فتنةٍ وإثارة صراعٍ بين المسلمين، فدعموا الدعوة العباسية بكل قواهم وإمكاناتهم، وحسبوا أنهم يمكنهم استخدام العباسيين قوةً لتحقيق مآربهم في إنهاك المسلمين بالقتال فيما بينهم، وبعضهم ضد بعضٍ، فلما وجدوا أن الخلافة العباسية قد وقفت صلبةً ويصعُب استغلالها أخذوا يعملون في تهديم الدولة العباسية من جديدٍ، ورجعوا إلى الطالبيين يُثيرونهم من جديدٍ، ويُشعلون

الفتن باسمهم، ويرمونهم بالوقائع، ويوقعونهم في المهالك، ويدّعون أن ذلك سعياً وراء الحق الشرعي، وتصحيحاً للواقع.

ولما كان الطالبيون قد وقفوا ضدّ الخلافة الأموية ومن بعدها ضدّ الخلافة العباسية؛ فهم في صراعٍ دائمٍ ضدّ الخلافة وكأنهم على خلافٍ مستمرٍ مع المجتمع الإسلامي، أو كأن الذين يدّعون أنهم أتباعهم هم فرقة خاصة من المسلمين تبتعد كثيراً أو قليلاً عنهم حسب الأفكار التي ورثوها مما كانوا يعتقدون سابقاً؛ كتقديس حكامهم ورجال دينهم ثم أدخلوها على ما أعلنوا انتماءهم إليه، أو دخل على الإسلام عندهم أفكار من المجوسية القديمة. وبقي المسلمون فرقتين يظهر الصراع بينهما أو يختفي حسبما يُستغلّ أو حسبما يُبْرَز الدخيل ويُعْلَن.



الفصل الرابع

الجهاد في عهد المنصور

ضعف أمر الجهاد عندما بدأ الصراع بين الخلافة في عهد بني أمية وبين رجال الدعوة إلى بني العباس، ووقف الروم ينظرون إلى ذلك الصراع نظرة الفرح والغبطة، ويتمنّون أن يقضي كلاهما على الآخر، ويضعف المسلمون، وينتهي الإسلام، ويعود الروم إلى سابق مجدهم، وإلى مواقعهم الأولى في الشام، ومصر، وشمالي إفريقية، وترجع النصرانية إلى الامتداد، وانتظر الروم يتتبعون الأخبار، ويتلهّفون إلى النتائج التي يحلمون بها.

ورجحت كفّة العباسيين على كفّة الأمويين، وأحرز العباسيون النصر، وانتهى بنو أمية عن الساحة، وقام بنو العباس بأمر الخلافة، ووقف الروم يرقبون العهد الجديد، وما يكون من أمر الجهاد. وكان المجتمع الإسلامي قد كره الصراع الداخلي، وملّ

الخلافات المحلية، فأخلد بعضهم إلى الأرض، واتجه بعضهم الآخر إلى شؤونه الخاصة.

الجبهة الغربية:

قام أبو العباس يُنظّم أمور الخلافة، ونظر إلى الثغور، وشعر أن المرابطين في الثغور إن لم يغزوا في بلاد عدوّهم الروم ويجاهدوا في سبيل الله فإن ذلك التوقُّف سيُطمع الخصم فيتحرّك نحو ديار الإسلام، غير أن أجزاء كثيرةً من الشام قد انتقضت على العهد الجديد بسبب ما قام به المتلوّنون في جيش عبد الله بن عليّ من إساءاتٍ دفعهم إليها الحقد وما يضمرونه لساداتهم الذين يعملون تحت لوائهم، ولكن لا بدّ من أن يتحرّك المرابطون فيشعرون بالنشاط وتأدية الواجب والقيام بالمهمّة التي يُرابطون من أجلها. فأمر أبو العباس بالغزو، وتحرّك الصوائف.

وجّه صالح بن عليّ لغزو الروم سعيد بن عبيد الله فقاد الصائفة في الدروب سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة، ولم يكن من أثرٍ يذكر في ذلك الغزو.

وغزا عبد الرحمن بن حبيب أمير إفريقية صقلية وحصل على غنائم وفيرةٍ، وذلك سنة أربعٍ وثلاثين ومائة.

وغزا أبو داود خالد بن إبراهيم في شرقي ديار الإسلام مدينة «كش» وانتصر.

ولم يكن هذا سوى هجماتٍ على مواقع للعدو أمام حركة الجهاد في صدر الإسلام. ومع ذلك فالعدوّ يتهيّب المسلمين ويخشى غزو ديارهم.

وفي سنة ستٍ وثلاثين ومائة عقد أبو العباس لعمه عبد الله بن عليّ على الصائفة في أهل الشام والموصل والجزيرة وخراسان، فسار أمير الصائفة وما أن بلغ دلوك حتى أتته وفاة أبي العباس. وبويع لأبي جعفر، وفي الوقت نفسه فإن القائد أمير الصائفة عبد الله بن عليّ قد أخذ البيعة لنفسه، وبدلاً من أن يكون غازياً لأرض الروم مجاهداً في سبيل الله في ديارهم أصبح حرباً لخليفة المسلمين الشرعي وخصماً عنيداً له، وهنا شعر الروم بالسعادة وغمرتهم الفرحة.

وأقبل العام الجديد، وشُغل المسلمون بحركة سُنباذ التي تنطوي على مرامٍ بعيدةٍ، وجاء وقت انطلاق الصائفة إلى بلاد الروم ولكن لم يحدث شيء، فكان ذلك رسالة إلى الروم جعلتهم يشعرون بضعف المسلمين، فتحرّك مباشرةً طاغية الروم قسطنطين نحو «ملاطية» ودخلها عنوة، وقهر أهلها، وهدم سورها غير

أنه لم يستطع أن يذهب إلى أبعد من ذلك، إذ أن هيبة المسلمين تملأ نفسه لذا عفا عن المقاتلة، ولم يتعرّض للذرّيّة بالسبي بل تركهم وشأنهم.

انتبه المسلمون إلى هذه الجرأة التي قام بها طاغية الروم، والتي لم يجرؤ أحد ممن سبقه من طغاة الروم للقيام بهذا، لذا سار صالح بن علي والعباس بن محمد بن علي إلى ملاطية، وأعادا بناء السور وما تهدّم من المدينة، ثم غَزَوا الصائفة من درب الحَدَث فوغلا في أرض الروم، وغزا مع صالح أختاه: أم عيسى ولبابة ابنتا عليّ إشارةً إلى عدم المبالاة بالروم، واستهانةً بهم، وإلى أن المسلمين متيّقنين من النصر ـ بإذن الله ـ.

وغزا من درب ملاطية جعفر بن حنظلة البهرانيّ.

وجرت مفاداة بالأسرى بين أبي جعفر المنصور وصاحب الروم، فاستنقذ المنصور من الروم أسارى المسلمين.

وغزا الصائفة سنة أربعين ومائة الحسن بن قحطبة ومعه عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي، وأقبل قسطنطين صاحب الروم في مائة ألفٍ فنزل «جيحان»، فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم.

وغزا الصائفة سنة ستٍ وأربعين ومائة جعفر بن حنظلة البهراني.

وعسكر صالح بن عليّ بدابق سنة ثمانٍ وأربعين ومائة، ولم يغزُ.

وغزا العباس بن محمد أخو الخليفة المنصور أرض الروم على رأس صائفة، ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث، وقد هلك محمد بن الأشعث في الطريق، وكان ذلك سنة تسعٍ وأربعين ومائة.

وعقد أبو جعفر سنة خمسين ومائة لأسيد بن يزيد على الصائفة غير أنه نزل مرج دابق ولم يغزُ.

وغزا الصائفة سنة إحدى وخمسين ومائة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد. ثم سار أخوه محمد بن إبراهيم بن محمد على رأس الصائفة في السنة التالية سنة اثنتين وخمسين ومائة غير أنه لم يتجاوز الدرب.

وغزا الصائفة سنة ثلاثة وخمسين ومائة معيوف بن يحيى الحَجوريّ وقد غنم، وسبى من حصنٍ واحدٍ ستة آلاف رأس.

وغزا الصائفة سنة ١٥٤ زُفَر بن حارث الهلالي.

طلب صاحب الروم سنة خمسٍ وخمسين ومائة الصلح من أبي جعفر المنصور على أن تؤدّي الروم للمسلمين جزيةً سنويةً.

وغزا الصائفة في هذا العام يزيد بن أسيد السُّلميّ.

سار زُفَر بن عاصم الهلالي على رأس الصائفة سنة ١٥٦.

وغزا الصائفة سنة ١٥٧ يزيد بن أسيد السُّلميّ، فوجّه سناناً مولى البطّال إلى بعض الحصون الرومية فسبى وغنم.

ومما سبق يظهر أن الجهاد ضد الروم لم يكن سوى غاراتٍ سنويةٍ قليلة النتائج، ضعيفة الأثر، محدودة الرقعة.

الجبهة الشرقية:

بعد أن انتهى المهدي من عبد الجبار بن عبد الرحمن جاءه الأمر من أبيه أبي جعفر المنصور أن يغزو طبرستان وأن ينزل «الريّ»، ويُوجّه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهبذ الذي قد خلع الطاعة. وكان الأصبهبذ يومئذٍ محارباً للمصمُغان ملك

دنباوند معسكراً بإزائه، فبلغه أن الجنود دخلت بلاده، وأن أبا الخصيب دخل «سارية» فساء المصمغان ذلك، وقال له: متى صاروا إليك صاروا إليّ، فاجتمعا على محاربة المسلمين، فانصرف الأصبهذ إلى بلاده فحارب المسلمين، وطالت تلك الحروب، فوجّه أبو جعفر عمر بن العلاء[1] الذي يقول فيه بشار:

فقل للخليفة إن جئته
نصيحاً ولا خير في المتهم
إذا أيقظتك حروب العِدا
فنبّه لها عمراً ثمّ نم
فتىً لا ينام على دِمْنَةٍ
ولا يشرب الماء إلا بدم

وكان توجيهه إياه بمشورة «أبرويز» أخي المصمغان، فإنه قال له: يا أمير المؤمنين، إن عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان فوجّهه، وكان «أبرويز» قد

---

(١) عمر بن العلاء: من الموالي، كان جزّاراً من أهل الريّ، وجمع جمعاً وقاتل سُنباذ حين خرج بطبرستان في أيام المنصور، فأبلى البلاء الحسن فأوفده جهور بن مرار العجلي إلى المنصور، فجعله من جملة القادة، ثم إنه ولي طبرستان، واستشهد سنة ١٦٥ في خلافة المهدي.

عرف عمر أيام «سُنباذ» وأيام الراوندية، فضمّ إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة، فدخل «الرُّويان» ففتحها، وأخذ قلعة الطاق، وما فيها، وطالت الحرب، فألحّ خازم على القتال، ففتح طبرستان، وقتل منهم فأكثر، وصار الأصبهبذ إلى قلعته، وطلب الأمان على أن يُسلّم القلعة بما فيها من ذخائره، فكتب المهدي بذلك إلى والده أبي جعفر، فوجّه أبو جعفر بصالح صاحب المصلى وعدّة معه، فأحصوا ما في الحصن، وانصرفوا، وبدا للأصبهبذ أمر، فدخل بلاد جيلان من الديلم، فمات بها، وأُخذت ابنته ـ وهي أم إبراهيم بن العباس بن محمد ـ. وصمدت الجنود للمصمغُان فظفروا به، وبالبحترية أم منصور بن المهدي، وبصيمر أم ولد علي بن ريطة بن المصمغان. فهذا فتح طبرستان الأول.

وعاد الأصبهبذ فنقض العهد بينه وبين المسلمين سنة ١٤٢هـ، وقتل من كان ببلاده من المسلمين فوجّه المنصور إليه خازم بن خزيمة، وروح بن حاتم[1]،

---

(١) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو حاتم: أحد الأجواد والأبطال، كان حاجباً لأبي جعفر المنصور، وولي السند للمهدي بن المنصور، ثم نقله إلى البصرة فالكوفة، وولاه الرشيد على فلسطين، ثم صرفه عنها=

ومعهما مرزوق أبو الخصيب مولى أبي جعفر، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه في حصنه وهم يُقاتلونهم حتى طال عليهم المقام، فاحتال أبو الخصيب في ذلك، فقال لأصحابه: اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ففعلوا ذلك به، ولحق بالأصبهبذ صاحب الحصن، وقال له: إنما فعلوا ذلك بي تهمةً منهم لي أن يكون هواي معك، وأخبره أنه معه، وأنه دليل له على عورة عسكرهم، فقبل منه ذلك الأصبهبذ، وجعله في خاصته. وكان الأصبهبذ قد وكّل فتح باب الحصن وإغلاقه وسرّ ذلك إلى ثقات أصحابه، وجعل ذلك نوباً بينهم، فقال له أبو الخصيب: ما أراك وثقت بي، ولا قبلت نصيحتي، قال: وكيف ظننت ذلك؟ قال: لتركك الاستعانة بي فيما يعنيك، وتوكيلي فيما لا تثق به إلا بثقاتك، فجعل يستعين به بعد ذلك، فيرى منه ما يحب إلى أن وثق به، فجعله فيمن ينوب في فتح باب حصنه وإغلاقه، فتولّى له ذلك حتى أنس به. ثم كتب أبو

= فتوجّه إلى بغداد، فوافق وصوله إليها نعي أخيه يزيد بن حاتم أمير إفريقية فأرسله الرشيد إلى القيروان فوصل إليها سنة ١٧١هـ، فاستمر والياً إلى أن مات سنة ١٧٤هـ، فدفن إلى جانب أخيه، وكان مشهوراً بالعلم والحزم والشجاعة.

الخصيب إلى روح بن حاتم وخازم بن خزيمة، وصيرّ الكتاب في نشّابه ورماها إليهم، وأعلمهم أنه قد ظفر بالحيلة، ووعدهم ليلةً سمّاها لهم في فتح الباب، فلما كان تلك الليلة فتح لهم، فقتلوا من فيها من المقاتلة، وسبوا الذراري. وظفر بـ«شَكْلة» أم إبراهيم بن المهدي. وقتل الأصبهبذ نفسه بالسمّ. (الحرب حيلة، والحيلة للرجال، ومن قدر فليحتال).

وأوقع الديلم بالمسلمين سنة ١٤٣هـ، وقتلوا منهم كثيراً، فوجّه إليهم المنصور ابن أخيه محمد بن أبي العباس في أهل البصرة والكوفة وواسط والموصل والجزيرة.

واستغلّ الترك والخزر انصراف المسلمين إلى حركة محمد بن عبد الله بن حسن وأخيه إبراهيم وعليها، فخرجوا من جهة باب الأبواب وقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعةً كثيرةً.

وأغار الترك مرةً ثانيةً سنة سبعٍ وأربعين بقيادة استراخان الخوارزمي على المسلمين بناحية أرمينية وقتلوا وسبوا من المسلمين وأهل الذمة خلقاً كثيراً، ودخلوا «تفليس»، وقتلوا حرب بن عبد الله الراوندي، وقد كان مرابطاً في الموصل في ألفين من الجند حذراً من تحرّك الخوارج هناك. فلما بلغ أبا جعفر المنصور خبر غارة الترك وجّه لحربهم جبريل بن يحيى وكتب إلى

حرب بن عبد الله يأمره بالمسير معه، فسار معه حرب، فقُتل حرب، وهُزم جبريل، وأُصيب الكثير من المسلمين. فأرسل المنصور إلى الترك حميد بن قحطبة، فسار حميد إلى أرمينية فوجد الترك قد ارتحلوا، فانصرف ولم يلق منهم أحداً.

وخرج أستاذسيس في أهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من عامة خراسان، وساروا نحو «مرو الروذ» يريدون دخولها فتصدّى لهم الأجثم المروروذي في أهل مرو الروذ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قُتل الأجثم، وكثر القتل في أهل مرو الروذ، وهُزِم عدد من القادة منهم: مُعاذ بن مسلم بن مُعاذ، وجبريل بن يحيى، وحمّاد بن عمرو، وأبو النجم السجستاني، وداود بن كرّار. فوجّه أبو جعفر المنصور خازم بن خزيمة إلى المهدي، فولّاه المهدي محاربة أستاذسيس، وأعطاه الصلاحيات وأجابه إلى كل ما سأل. ففتح الله على خازم، وأخذ أستاذسيس وأبناءه أسرى. وكان مع أستاذسيس «الحريش» في أهل سجستان.

ومما سبق يظهر أن الجبهة الشرقية لم يكن فيها فتح أو جهاد بل كان في مشرق ديار الإسلام خلع طاعة، ونقض عهود وهذا يعطي صورة عن عدم صدق سكان تلك المنطقة في طاعتهم وحسن عقيدتهم ـ والله أعلم ـ.

الفصل الخامس

شخصيّة المنصور

● كان أسمر طويلاً نحيفاً مَهيباً، خفيف العارضين، مُعرَّق الوجه، رحب الجبهة، كأن عينيه لسانان ناطقان، تُخالطه أبّهة الملك بزيِّ النُّسّاك، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، أقنى الأنف، بيّن القنا، يَخضِب بالسواد.

كان فحل بني العباس هيبةً وشجاعةً، ورأياً وحزماً، ودهاءً وجبروتاً، وكان جمّاعاً للمال، حريصاً، تاركاً للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم[1].

● كان أسمر اللون، موفر اللِّمة خفيف اللحية، رحب الجبهة، أقنى الأنف، أعين كأن عينيه لسانان ناطقان، يخالطه أُبّهة الملك، وتقبله القلوب، وتتبعه

(١) سير أعلام النبلاء.

العيون، يعرف الشرف في مواضعه، والعنف في صورته، والليث في مشيته، هكذا وصفه بعض من رآه[١].

• أباد جماعةً كباراً حتى توطّد له الملك ودانت له الأمم على ظلمٍ فيه وقوة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتديّن في الجملة، وتصوّنٍ وصلاةٍ وخيرٍ، مع فصاحةٍ وبلاغةٍ وجلالة[٢].

• وكان يبذل الأموال في الكوائن المخوفة، ولا سيما لما خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة، وأخوه إبراهيم بالبصرة.

• قال أبو إسحاق الثعالبي: على شهرة المنصور بالبخل، ذكر محمد بن سلّام أنه لم يُعطِ خليفةٌ قبل المنصور عشر آلاف ألف درهمٍ دارت بها الصِّكاك، وثبتت في الدواوين، فإنه أعطى في يومٍ واحدٍ، كل واحدٍ من عمومته عشرة آلاف ألف. وقيل: إنه خلّف يوم موته في بيوت الأموال تسعمائة ألف ألف درهم ونيف.

---

(١) البداية والنهاية.

(٢) سير أعلام النبلاء.

• أبو العيناء: حدثنا الأصمعي: أن المنصور صعد المنبر، فشرع، فقام رجل، فقال: يا أمير المؤمنين اذكر من أنت في ذكره. فقال: مرحباً، لقد ذكرت جليلاً، وخوّفت عظيماً، وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزّة بالإثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فأحلف بالله: ما الله أردت، إنما أردت أن يقال: قام، فقال: فعوقب، فصبر، فأهون بها من قائلها، واهتبلها من الله، ويلك إني قد غفرتها. وعاد إلى خطبته كأنما يقرأ من كتابٍ.

• قال مبارك الطبري: حدّثنا أبو عبيد الله الوزير، سمع المنصور يقول: الخليفة لا يُصلِحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

• وقيل: إن عمرو بن عبيد[1] وعظ المنصور

---

(١) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: كان جده من سبي فارس، وأبوه نسّاجاً، ثم شرطياً للحجاج في البصرة، ولد عمرو سنة ثمانين، واشتهر بعلمه وزهده، وكان شيخ المعتزلة في عصره، وأخباره كثيرة مع المنصور، وتوفي سنة أربعٍ وأربعين ومائة قرب مكة، ورثاه المنصور.

فأبكاه، وكان يهاب عمراً ويكرمه، وكان أمر له بمالٍ فردّه.

• وقيل: إن عبد الصمد عمّه قال: يا أمير المؤمنين، لقد هجمت بالعقوبة، حتى كأنك لم تسمع بالعفو.

قال: لأن بني أمية لم تَبْلَ رِممهم، وآل عليّ لم تغمد سيوفهم، ونحن بين قومٍ قد رأونا بالأمس سوقة ولا تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو[1].

• قال الربيع بن يونس الحاجب: سمعت المنصور يقول: الخلفاء أربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. والملوك أربعة: معاوية، وعبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك، وأنا.

• عن إسماعيل البهري قال: سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفة يقول: أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده، وخازنه على ماله، أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلني الله عليه قفلاً، فإن شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم فتحني، وإن شاء أن يقفلني عليه قفلني.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

فارغبوا إلى الله أيها الناس، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهبكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه، إذ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[1] أن يُوفّقني للصواب ويُسدّدني للرشاد ويُلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لأُعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم فإنه سميع مجيب.

• وقال المنصور لابنه المهدي: يا بني استدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتأليف، والنصر بالتواضع والرحمة للناس، ولا تنس نصيبك من الدنيا، ونصيبك من رحمة الله.

• وحضر عنده مبارك بن فَضاله[2] يوماً، وقد أمر برجلٍ أن يضرب عنقه، وأحضر النطع والسيف، فقال

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) مبارك بن فَضَالة بن أبي أمية: الحافظ، المحدّث، الصادق، الإمام، أبو فَضَالة القرشي العدوي، مولى عمر بن الخطاب، من كبار علماء البصرة، ولد في أيام الصحابة. صحب الحسن، وحدّث عنه فأكثر.
وقالوا: ضعيف. واستشهد به البخاري في الصحيح.
حديثه نحو المائتين.
توفي سنة خمسٍ وستين ومائة.

له مبارك: سمعت الحسين يقول: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا) فأمر بالعفو عن ذلك الرجل. ثم أخذ يعدّد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وما صنعه.

• قال الأصمعي: أُتي المنصور برجلٍ ليُعاقبه، فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل والعفو فضل، ونعوذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وأدنى القسمين، دون أرفع الدرجتين. قال: فعفا عنه.

• وقال الأصمعي: قال المنصور لرجلٍ من أهل الشام: أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا.

فقال: إن الله لا يجمع علينا حشفاً وسوء كيل، ولايتكم والطاعون.

والحكايات في ذكر حلمه وعفوه كثيرة جداً.

• ودخل بعض الزهّاد على المنصور، فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلةً تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة، واذكر ليلةً

تمخّض عن يومٍ لا ليلة بعده. قال: فأفحم المنصور قوله، وأمر له بمالٍ، فقال: لو احتجت إلى مالك لما وعظتك.

• ودخل عمرو بن عبيد القدري على المنصور، فأكرمه وعظمّه وقرّبه، وسأله عن أهله وعياله، ثم قال له: عظني، فقرأ عليه سورة الفجر إلى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ فبكى المنصور بكاءً شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات قبل ذلك، ثم قال له: زدني. فقال: إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك، ثم هو صائر لمن بعدك، واذكر ليلةً تسفر عن يوم القيامة. فبكى المنصور أشدّ من بكائه الأول حتى اختلفت أجفانه، فقال له سليمان بن مجالد: رفقاً بأمير المؤمنين. فقال عمرو: وماذا على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله عزّ وجلّ. ثم أمر له المنصور بعشرة آلاف درهمٍ. فقال: لا حاجة لي فيها، فقال المنصور: والله لتأخذنها، فقال والله لا آخذها. فقال له المهدي ـ وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه ـ: أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت؟ فالتفت إلى المنصور فقال: ومن هذا؟ فقال: هذا ابني محمد ولي العهد من بعدي.

فقال عمرو: إنك سميته اسماً لم يستحقّه لعمله، وألبسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار، ولقد مهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه، ثم التفت إلى المهدي، فقال: يا ابن أخي، إذا حلف أبوك وحلف عمك فلأن يحنث أبوك أيسر من أن يحنث عمك، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك. ثم قال المنصور: يا أبا عثمان هل من حاجة؟ قال: نعم. قال: وما هي؟ قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك، ولا تعطني حتى أسألك. فقال المنصور: إذن لا نلتقي. فقال عمرو: عن حاجتي سألتني، فودعه وانصرف، فلما ولّى أمدّه بصرة وهو يقول:

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد

● ويقال: إن عمرو بن عبيد أنشد المنصور قصيدةً في موعظته إياه، وهي قوله:

يا أيهذا الذي قد غرّه الأمل
ودون ما يأمل التنغيص والأجل
ألا ترى إنما الدنيا وزينتها
كمنزل الركب حلّوا ثمّتَ ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد
وصفوها كدر وملكها دول

تظلّ تقرع بالروعات ساكنها
فما يسوغ له لين ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض
تظلّ فيه بنات الدهر تنتقل
تديره ما تدور به دوائرها
منها المصيب ومنها المخطئ الزلل
والنفس هاربة والموت يطلبها
وكل عسرة رِجل عندها جلل
والمرء يسعى بما يسعى لوارثه
والقبر وارث ما يسعى له الرجل

● وقال ابن دريد عن الرياشي عن محمد بن سلّام قال: رأت جارية للمنصور ثوبه مرقوعاً، فقالت: خليفة وقميصه مرقوع؟ فقال: ويحك أما سمعت قول ابن هرمه:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
خَلِق وبعض قميصه مرقوع

● ومن شعره لما عزم على قتل أبي مسلم:

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ
فإن فساد الرأي أن تترددا

ولا تمهل الأعداء يوماً لغدرةٍ
وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

ولما قتله ورآه طريحاً بين يديه قال:

قد اكتنفتك خِلّات ثلاث
جلبن عليك محتوم الحمام
خلافك وامتناعك من يميني
وقَوْدك للجماهير العظام

● من شعره أيضاً:

المرء يأمل أن يعيـ
ـش وطول عمرٍ قد يضُرُّه
تبلى بشاشته ويبـ
ـقى بعد حُلو العيش مُرُّه
وتخونه الأيام حتى
لا يرى شيئاً يسُرُّه
كم شامتٍ بي إن هلكـ
ـت وقائلٍ لله دَرُّه

● قالوا: وكان المنصور في أول النهار يتصدّى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولايات، والعزل، والنظر في مصالح العامة، فإذا صلى الظهر

دخل منزله واستراح إلى العصر، فإذا صلّاها جلس لأهل بيته، ونظر في مصالحهم الخاصة، فإذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الآفاق، وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر، فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى ينفجر الصباح، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيجلس في إيوانه. وقد ولّى بعض العمال على بلدٍ فبلغه أنه قد تصدّى للصيد، وأعدّ لذلك كلاباً وبُزاةً، فكتب إليه: ثكلتك أمك وعشيرتك، ويحك: إنا إنما استكفيناك واستعملناك على أمور المسلمين، ولم نستكفك أمور الوحوش في البراري، فسلم ما تلي من عملنا إلى فلانٍ والحق بأهلك ملوماً مدحوراً.

● وأُتي يوماً بخارجيٍ قد هزم جيوش المنصور غير مرةٍ، فلما وقف بين يديه، قال له المنصور: ويحك يا ابن الفاعلة! مثلك يهزم الجيوش؟ فقال الخارجي: ويلك سوأة لك بيني وبينك، أمس السيف والقتل ـ واليوم القذف والسبّ؟ وما يؤمنك أن أردّ عليك وقد يئست من الحياة فما أستقبلها أبداً، قال: فاستحيى منه المنصور وأطلقه فما رأى له وجهاً إلى

الحول. وقال لابنه لما ولّاه العهد: يا بني ائتدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والنصر بالتواضع، والتألف بالطاعة، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله.

• وقال أيضاً: يا بني، ليس العاقل من يختال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه، ولكن العاقل الذي يختال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه.

• وقال المنصور: يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعندك من أهل الحديث من يُحدّثك، فإن الزهري قال: علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال، ولا يكرهه إلا مؤنثوهم، وصدق أخو زهرة، وقد كان المنصور في شيبته يطلب العلم من مظانّه والحديث والفقه، فنال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً، وقد قيل له يوماً: يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله؟ قال: شيء واحد، قالوا: وما هو؟ قال: قول المحدّث للشيخ من ذكرت رحمك الله؟ فاجتمع وزراؤه وكُتّابه وجلسوا حوله، وقالوا: ليُملِ علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث، فقال: لستم منهم، وإنما هم الخَلِقة ثيابهم، المشقّقة أرجلهم، الطويلة شعورهم، رُوّاد الآفاق، وقطّاع المسافات تارةً بالعراق، وتارة

بالحجاز، وتارةً بالشام، وتارةً باليمن، فهؤلاء نقلة الحديث.

• وقال يوماً لابنه المهدي: كم عندك من دابةٍ؟ فقال: لا أدري، فقال: هذا هو التقصير، فأنت لأمر الخلافة أشدّ تضييعاً، فاتق الله يا بني.

• قالت خالصة إحدى حظيّات المهدي: دخلت يوماً على المنصور، وهو يشتكي ضرسه، ويداه على صدغيه، فقال لي: كم عندك من المال يا خالصة؟ فقلت: ألف درهم. فقال: ضعي يدك على رأسي واحلفي، فقلت: عندي عشرة ألاف دينار، قال: اذهبي فاحمليها إليَّ. قالت: فذهبت حتى دخلت على سيدي المهدي وهو مع زوجته الخيزران، فشكوت ذلك إليه فوكزني برجله، وقال: ويحك! إنه ليس به وجع ولكني سألته بالأمس مالاً فتمارض، وإنه لا يسعك إلا ما أمرك به. فذهبت إليه خالصة ومعها عشرة آلاف دينار، فاستدعى بالمهدي فقال له: تشكو الحاجة وهذا كله عند خالصة؟ وقال المنصور لخازنه: إذا علمت بمجيء المهدي فائتني بخلقان الثياب قبل أن يجيء، فجاء بها فوضعها بين يديه، ودخل المهدي والمنصور يُقلّبها، فجعل المهدي يضحك، فقال: يا بني من ليس له خَلِق

ليس له جديد، وقد حضر الشتاء فنحتاج أن نعين العيال والولد. فقال المهدي: عليّ كسوة أمير المؤمنين وعياله، فقال: دونك فافعل[1].

• بلغ المنصور أن عيسى بن موسى قتل رجلاً من ولد نصر بن سيّار، كان مستخفياً بالكوفة، فدُلّ عليه، فضرب عنقه، فأنكر ذلك وأعظمه، وهمّ في عيسى بأمرٍ كان فيه هلاكه، ثم قطعه عن ذلك جهل عيسى بما فعل، فكتب إليه: أما بعد، فإنه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخّرك عقوبة قتل ابن نصر بن سيّار واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال في مثله، فأمسك عمن ولّاك أمير المؤمنين أمره، من عربيٍّ وأعجميٍّ، وأحمر وأسود، ولا تستبدّنّ على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبةٍ في أحدٍ قِبَله تباعة، فإنه لا يرى أن يأخذ أحداً بظنّةٍ قد وضعها الله عنه بالتوبة، ولا بحَدَثٍ كان منه في حربٍ أعقبه الله منها سِلماً ستر به عن ذي غِلّةٍ، وحجز به عن محنة ما في الصدور، وليس ييأس أمير المؤمنين لأحدٍ ولا لنفسه من الله من إقبال مدبرٍ، كما أنه لا يأمن إدبار مقبل. إن شاء الله والسلام.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

• قال يحيى بن سليم كاتب الفضل بن الربيع: لم يُرَ في دار المنصور لهو قطّ، ولا شيء يُشبه اللهو واللعب والعبث إلا يوماً واحداً، فإنا رأينا ابناً له يقال له عبد العزيز أخا سليمان وعيسى ابني أبي جعفر من الطلحية، وتوفي وهو حَدَث، قد خرج على الناس متنكباً قوساً، متعمّماً بعمامةٍ، متردّياً ببُرْدٍ، في هيئة غلامٍ أعرابيٍ، راكباً على قعود في جُوالقيْن، فيهما مُقْل ونعال ومساويك وما يهديه الأعراب، فعجب الناس من ذلك وأنكروه. قال: فمضى الغلام حتى عبر الجسر، وأتى المهدي بالرصافة فأهدى إليه ذلك، فقبل المهدي ما في الجواليق وملأهما دراهم، فانصرف بين الجوالقين، فعُلم أنه ضرب من عبث الملوك.

• عن حماد التركي قال: كنت واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبةً في الدار، فقال: ما هذا يا حمّاد؟ انظر، فذهبت فإذا خادم له قد جلس بين الجواري، وهو يضرب لهنّ بالطنبور، وهنّ يضحكن، فجئت فأخبرته، فقال: وأي شيءٍ الطنبور؟ فقلت: خشبة من حالها وأمرها.... ووصفتها له، فقال لي: أصبت صفته، فما يدريك أنت ما الطنبور! قلت: رأيته بخراسان، قال: نعم هناك، ثم قال: هات نعلي، فأتيته

بها فقام يمشي رويداً حتى أشرف عليهم فرآهم، فلما بصروا به تفرّقوا، فقال: خذوه، فأُخذ، فقال: اضرب به رأسه، فلما أزل أضرب به رأسه حتى كسرته، ثم قال: أخرجه من قصري، واذهب به إلى حمران بالكرخ، وقل له يبيعه.

• وذكر العباس بن الفضل عن سلّام الأبرش، قال: كنت وأنا وصيف وغلام آخر نخدم المنصور داخلاً في منزله، وكانت له حجرة فيها بيت وفُسطاط وفراش ولحاف يخلو فيه، وكان من أحسن الناس خلقاً ما لم يخرج إلى الناس، وأشدّ احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان، فإذا لبس ثيابه تغيّر لونه وتربّد وجهه، واحمرّت عيناه، فيخرج فيكون منه ما يكون، فإذا قام من مجلسه بمثل ذلك، فنستقبله في ممشاه، فربما عاتبناه.

وقال لي يوماً: يا بني إذا رأيتني قد لبست ثيابي أو رجعت من مجلسي، فلا يدنُوَنّ مني أحد منكم مخافة أن أعرّه بشيء.

• وذكر أبو الهيثم خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم، قال: حدثني عبد الله بن محمد ـ يلقب بمنقار من أهل خراسان ـ وكان من عمال الرشيد،

قال: حدثني معن بن زائدة، قال: كنا في الأصحاب سبعمائة رجل، فكنا ندخل على المنصور في كل يومٍ، قال: فقلت للربيع: اجعلني في آخر من يدخل، فقال لي: لست بأشرفهم فتكون في أولهم، ولا بأخسّهم نسباً فتكون في آخرهم، وإن مرتبتك لتشبه نسبك، قال: فدخلت على المنصور ذات يومٍ وعليّ دُرّاعة فضفاضة وسيف حنفيّ، أقرع بنعله الأرض، وعمامة قد سدلتها من خلفي وقُدّامي. قال: فسلّمت عليه وخرجت، فلما صرت عند الستر صاح بي: يا معن، صيحةً أنكرتها! فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إليّ، فدنوت منه، فإذا به قد نزل عن عرشه إلى الأرض،، وجثا على ركبتيه، واستلّ عموداً من بين فراشين، واستحال لونه ودرّت أوداجه، فقال: إنك لصاحبي يوم واسط، لا نجوتُ إن نجوتَ مني. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، تلك نصرتي لباطلهم، فكيف نصرتي لحقك، قال: فقال لي: كيف قلت؟ فأعدت عليه القول، فما زال يستعيدني حتى ردّ العمود في مستقرّه، واستوى متربعاً، وأسفر لونه، فقال: يا معن، إن لي باليمن هنات، قلت: يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي، قال: فقال: أنت صاحبي، فجلست، وأمر الربيع بإخراج كل من كان في القصر فخرج، فقال لي: إن صاحب اليمن قد همّ

بمعصيتي، وإني أريد أن آخذه أسيراً، ولا يفوتني شيء من ماله، فما ترى؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، ولّني اليمن، وأظهر أنك ضممتني إليه، ومُر الربيع يزيح عليّ في كل ما أحتاج إليه، ويخرجني من يومي هذا لئلا ينتشر الخبر، قال: فاستلّ عهداً من بين فراشين، فوقّع فيه اسمي وناولنيه، ثم دعا الربيع فقال: يا ربيع، إنا قد ضممنا معناً إلى صاحب اليمن، فأزح عِلّتَه فيما يحتاج إليه من الكُراع والسلاح، ولا يمسي إلا وهو راحل. ثم قال: ودّعني، فودّعته وخرجت إلى الدهليز، فلقيني أبو الوالي، فقال: يا معن، أعزز عليّ أن تضمّ إليّ ابن أخيك، قال: فقلت: إنه لا غضاضة على الرجل أن يضمّه سلطانه إلى ابن أخيه، فخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل، فأخذته أسيراً، وقرأت عليه العهد، وقعدت في مجلسه.

• وذكر حماد بن أحمد اليماني، قال: حدثني محمد بن عمر اليمامي أبو الرديني، قال: أراد معن بن زائدة أن يوفد إلى المنصور قوماً يسلّون سخيمته، ويستعطفون قلبه عليه، وقال: قد أفنيت عمري في طاعته، وأتعبت نفسي، وأفنيت رجالي في حرب اليمن، ثم يسخط عليّ أن أنفقت المال في طاعته، فانتخب

جماعةً من عشيرته من أفناء ربيعة فكان فيمن اختار مُجّاعة بن الأزهر، فجعل يدعو الرجال واحداً واحداً، ويقول: ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين إذا وجّهتك إليه؟ فيقول: أقول وأقول، حتى جاءه مُجّاعة بن الأزهر، فقال: أعزّ الله الأمير، تسألني عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن، أقصد لحاجتك، حتى أتأتى لها كما يمكن وينبغي، فقال: أنت صاحبي، ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزني، فقال له: شدّ على عضد ابن عمك وقدّمه أمامك، فإن سها عن شيءٍ فتلافه، واختار من أصحابه ثمانية نفرٍ معهما حتى تمّوا عشرةً، وودّعهم ومضوا حتى صاروا إلى أبي جعفر، فلما صاروا بين يديه تقدّموا، فابتدأ مُجّاعة بن الأزهر بحمد الله والثناء عليه والشكر، حتى ظنّ القوم أنه إنما قصد لهذا، ثم كرّ على ذكر النبيّ ﷺ، وكيف اختاره الله من بطون العرب، ونشر من فضله، حتى تعجّب القوم، ثم كرّ على ذكر أمير المؤمنين المنصور، وما شرّفه الله به، وما قلّده، ثم كرّ على حاجته وذكر صاحبه. فلما انتهى كلامه، قال المنصور: أما ما وصفت من حمد الله، فالله أجلّ وأكبر من أن تبلغه الصفات، وأما ما ذكرت من النبي ﷺ فقد فضّله الله بأكثر مما قلت، وأما ما وصفت به أمير المؤمنين، فإنه فضّله الله بذلك،

وهو مُعينه على طاعته إن شاء الله، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولؤُمت، اخرج فلا يقبل ما ذكرت. قال: صدق أمير المؤمنين، ووالله ما كذبت في صاحبي. فأُخرجوا فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر بردّه مع أصحابه، فقال: ما ذكرت؟ فكرّ عليه الكلام، حتى كأنه كان في صحيفةٍ يقرؤه، فقال له مثل القول الأول، فأُخرجوا حتى برزوا جميعاً، وأمر بهم فوقفوا، ثم التفت إلى من حضر من مُضر، فقال: هل تعرفون فيكم مثل هذا؟ والله لقد تكلّم حتى حسدته، وما منعني أن أُتمّ على ردّه إلا أن يقال: تعصّب عليه لأنه ربعي، وما رأيت كاليوم رجلاً أربط جأشاً، ولا أظهر بياناً، رُدّه يا غلام. فلما صار بين يديه أعاد السلام، وأعاد أصحابه، فقال له المنصور: اقصد لحاجتك وحاجة صاحبك، قال: يا أمير المؤمنين، معن بن زائدة عبدك وسهمك وسيفك رميت به عدوّك، فضرب وطعن ورمى، حتى سهُل ما حزُن، وذلّ ما صعُب، واستوى ما كان معوجاً من اليمن، فأصبحوا من خول أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فإن كان في نفس أمير المؤمنين هَنَة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسدٍ فأمير المؤمنين أولى بالتفضّل على عبده، ومن أفنى عمره في طاعته. فقبل وفادتهم وقبل العذر من معن، وأمر

بصرفهم إليه، فلما صاروا إلى معنٍ، وقرأ الكتاب بالرضا قبّل ما بين عينيه، وشكر أصحابه، وخلع عليهم وأجازهم على إقدامهم، وأمرهم بالرحيل إلى منصور، فقال مُجّاعة:

آليت في مجلسٍ من وائل قسماً
ألا أبيعك يا معن بأطماع
يا معن إنك قد أوليتني نِعماً
عمّت لجيماً وخصّت آل مُجّاع
فلا أزالُ إليك الدهر منقطعاً
حتى يشيد بِهُلكى حَتْفَه الناعي

قال: وكانت نِعم معن على مُجّاعة، أنه سأله ثلاث حوائج، منها أنه كان يتعشّق امرأةً من أهل بيته، سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد، وكانت إذا ذُكر لها قالت: بأي شيءٍ يتزوجني؟ أبجُبّته الصوف أم بكسائه. فلما رجع إلى معنٍ كان أول شيءٍ سأله أن يزوّجه بها، وكان أبوها في جيش معنٍ، فقال: أريد زهراء، وأبوها في عسكرك أيها الأمير، فزوّجه إياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده. فقال له معن: حاجتك الثانية، قال: الحائط الذي فيه منزلي بحجر وصاحبه في عسكر الأمير، فاشتراه منه، وصيّره

له. وقال: حاجتك الثالثة، قال: تهب لي مالاً. قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم، تمام مائة ألف درهم، وصرفه إلى منزله.

● وذُكر عن محمد بن سالم الخوارزميّ - وكان أبوه من قواد خراسان - قال: سمعت أبا الفرج خال عبد الله بن جبلة الطالقاني يقول: سمعت أبا جعفر يقول: ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفرٍ، لا يكون على بابي أعفّ منهم، قيل له: يا أمير المؤمنين، من هم؟ قال: هم أركان الملك، لا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم، إن نقصت واحدة وهى، أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائمٍ، والآخر صاحب شرطةٍ يُنصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراجٍ يستقصي ولا يظلم الرعية فإني عن ظلمها غنيّ، والرابع - ثم عضّ على أصبعه السبابة ثلاثة مراتٍ، يقول في كل مرةٍ آه آه - قيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريدٍ يكتب بخبر هؤلاء على الصحة.

● وقيل: إن المنصور دعا بعاملٍ من عماله قد كسر خراجه، فقال له: أدّ ما عليك، قال: والله ما أملك شيئاً، ونادى المنادي: أشهد أن لا إله إلا الله،

قال: يا أمير المؤمنين، هب ما علي لله ولشهادة أن لا إله إلا الله، فخلّى سبيله.

• قال: وولّى المنصور رجلاً من أهل الشام شيئاً من الخراج، فأوصاه وتقدّم إليه، فقال: ما أعرفني بما في نفسك! الساعة يا أخا أهل الشام! تخرج من عندي الساعة، فتقول: الزم الصحة؛ يلزمك العمل.

• قال: وولى رجلاً من أهل العراق شيئاً من خراج السواد، فأوصاه، وتقدّم إليه، فقال: ما أعرفني بما في نفسك! تخرج الساعة فتقول: من عال بعدها فلا اجتبر، اخرج عني وامض إلى عملك، فوالله لئن تعرّضت لذلك لأبلغنّ من عقوبتك ما تستحقه. قال: فولّيا جميعاً وصحّحا وناصحا.

• وذكر الربيع أنه قال: أُدخل على المنصور سهيل بن سالم البصري، وقد وُلّي عملاً فعُزِل، فأمر بحبسه واستئدائه، فقال سهيل: عبدك يا أمير المؤمنين، قال: بئس العبد أنت، قال: لكنك يا أمير المؤمنين نِعْم المولى، قال: أمّا لك فلا.

• يقول المنصور للمهدي: لا تبرم أمراً حتى تُفكّر فيه، فإن فكر العاقل مرآته، تُريه حسنه وسيئه.

• وذكر الزبير بن بكار أيضاً عن مصعب بن عبد الله، عن أبيه، قال: سمعت أبا جعفر المنصور يقول للمهدي: يا أبا عبد الله، لا يصلح السلطان إلا بالتقوى، ولا تصلح رعيّته إلا بالطاعة، ولا تعمّر البلاد بمثل العدل، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال، ولا تقدُم في الحياطة بمثل نقل الأخبار. وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة، وأعجز الناس من ظلم من هو دونه، واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختباره.

• وذُكر عن عليّ بن مجاهد بن محمد بن عليّ، أن المنصور قال للمهدي: يا أبا عبد الله من أحب الحمد أحسن السيرة، ومن أبغض الحمد أساءها، وما أبغض أحد الحمد إلا استذمّ، وما استذمّ إلا كُره.

• وذُكر عن سوادة بن عمرو السُّلميّ، عن عبد الملك بن عطاء - وكان في أصحاب المنصور - قال: سمعت ابن هبيرة وهو يقول في مجلسه: ما رأيت رجلاً قطّ في حربٍ، ولا سمعت به في سلمٍ، أمكر ولا أبدع، ولا أشدّ تيقّظاً من المنصور، لقد حصرني في مدينتي تسعة أشهرٍ، ومعي فرسان العرب، فجهدنا كل الجهد أن ننال من عسكره شيئاً نكسره به، فما

تهيّأ، ولقد حصرني وما في رأسي بيضاء، فخرجت إليه وما في رأسي سوداء، وإنه لكما قال الأعشى:

يقوم على الرغم من قومه
فيعفو إذا شاء أو ينتقم
أخو الحرب لا ضَرَعٌ واهن
ولم ينتعل بنعال خذم

• وذكر الهيثم بن عديّ أن ابن عيّاش حدّثه أن ابن هبيرة أرسل إلى المنصور، وهو محصور بواسط، والمنصور بإزائه: إني خارج يوم كذا وكذا، وداعيك إلى المبارزة، فقد بلغني تجبينك إياي، فكتب إليه: يا ابن هبيرة، إنك امرؤ متعدٍّ طورك، جارٍ في عنان غيّك، يعدك الله ما هو مصدقه، ويُمنّيك الشيطان ما هو مُكذّبه، ويقرّب ما الله مباعده، فرويداً يتمّ الكتاب أجله، وقد ضربتُ مثلي ومثلك، بلغني أن أسداً لقي خنزيراً، فقال له الخنزير: قاتلني، فقال الأسد: إنما أنت خنزير ولست لي بكفءٍ ولا نظيرٍ، ومتى فعلت الذي دعوتني إليه فقتلتك قيل لي: قتلت خنزيراً، فلم أعتقد بذلك فخراً ولا ذِكراً، وإن نالني منك شيء كان سُبّةً عليّ، فقال: إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع فأعلمتها أنك نكلت عني وجبنت عن قتالي، فقال

الأسد: احتمال عار كذبك أيسر عليّ من لوث شاربي بدمك.

• وذُكر عن محمد بن رياح الجوهري، قال: ذكر لأبي جعفر تدبير هشام بن عبد الملك في حربٍ كانت له، فبعث إلى رجلٍ كان معه ينزل الرصافة ـ رُصافة هشام ـ يسأله عن ذلك الحرب، فقدم عليه فقال: أنت صاحب هشام؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأخبرني كيف فعل في حربٍ دبرها سنة كذا وكذا؟ قال: إنه فعل فيها رحمه الله كذا وكذا، ثم أتبع بأن قال: فعل كذا رضي الله عنه، فأحفظ ذلك المنصور، فقال: قم عليك غضب الله، تطأ بساطي وتترحم على عدوّي. فقام الشيخ وهو يقول: إن لعدوّك قلادةً في عنقي ومِنّةً في رقبتي لا ينزعها عني إلا غاسلي، فأمر المنصور بردّه، وقال: اقعد، هيه! كيف قلت..؟ فقلت: إنه كفاني الطلب، وصان وجهي عن السؤال، فلم أقف على باب عربيٍّ ولا أعجميٍّ منذ رأيته، أفلا يجب أن أذكره بخيرٍ وأُتبعه بثنائي! فقال: بلى، لله أُمّ نهضت عنك، وليلة أدّتك، أشهد أنك نهيضُ حرةٍ وغراسُ كريمٍ، ثم استمع منه، وأمر به ببرٍّ، فقال: يا أمير المؤمنين، ما آخذه لحاجةٍ، وما هو إلا أني

أتشرّف بحِبائك، وأتبجح بصلتك. فأخذ الصلة وخرج، فقال المنصور: عند مثل هذا تحسن الصنيعة، ويوضع المعروف، ويجاد بالمصون، وأين في عسكرنا مثله.

• وقال موسى بن صالح: حدثني محمد بن عقبة الصيداوي عن نصر بن حرب ـ وكان في حرس أبي جعفر ـ قال: رفُع إليّ رجل قد جيء به من بعض الآفاق، قد سعى في فساد الدولة، فأدخلته على أبي جعفرٍ، فلما رآه قال: أصبغ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ويلك، أما أعتقتك وأحسنت إليك، قال: بلى، قال: فسعيت في نقض دولتي وإفساد ملكي، قال: أخطأت وأمير المؤمنين أولى بالعفو. قال: فدعا أبو جعفر عمارة ـ وكان حاضراً ـ فقال: يا عمارة، هذا أصبغ؟ فجعل يتثبّت في وجهه، وكأن في عينيه سوءاً، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: عليّ بكيس عطائي، فأُتي بكيسٍ فيه خمسمائة درهمٍ، فقال: خذها فإنها وَضَح، ويلك، وعليك بعملك ـ وأشار بيده يحرّكها ـ قال عمارة: قلت لأصبغ: ما كان عَنَى أمير المؤمنين؟ قال: كنت وأنا غلام أعمل الحبال، فكان يأكل من كسبي. قال نصر: ثم أُتي به ثانيةً، فأدخلته كما أدخلته قبل، فلما وقف بين يديه أحدّ النظر إليه، ثم

قال: أصبغ! فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فقصّ عليه ما فعل به، وذكره إياه، فأقرّ به، وقال: الحمق يا أمير المؤمنين؛ فقدّمه فضرب عنقه.

• وذكر علي بن محمد المدائني أنه قدم على أبي جعفر المنصور ـ بعد انهزام عبد الله بن عليّ وظفر المنصور به وحبسه إياه ببغداد ـ وفد من أهل الشام فيهم الحارث بن عبد الرحمن، فقام عدة منهم فتكلموا، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين! إنا لسنا وفد مباهاة، ولكنا وفد توبة، وإنما ابتلينا بفتنةٍ استفزّت كريمنا، واستخفّت حليمنا، فنحن بما قدّمنا معترفون، ومما سلف منا معتذرون، فإن تُعاقبنا فبما أجرمنا، وإن تعفُ عنا فبفضلك علينا، فاصفح عنا إذ ملكت، وامنن إذ قدرت، وأحسن إذ ظفرت، فطالما أحسنت! قال أبو جعفر: قد فعلت.

• وذكر عن الهيثم بن عدي عن زيد مولى عيسى بن نَهيك، قال: دعاني المنصور بعد موت مولاي، فقال: يا زيد، قلت: لبيك أمير المؤمنين، قال: كم خلّف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينارٍ أو نحوها، قال: فأين هي؟ قلت: أنفقتها الحرّة في مأتمه. قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت الحرّة في مأتمه

ألف دينارٍ! ما أعجب هذا! ثم قال: كم خلّف من البنات؟ قلت: ستاً، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه، وقال: اغدُ إلى باب المهدي، فغدوت، فقيل لي: أمعك بغال؟ فقلت: لم أؤمر بذلك ولا بغيره، ولا أدري لِمَ دعيت، قال: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينارٍ، وأمرت أن أدفع إلى كل واحدةٍ من بنات عيسى ثلاثين ألف دينارٍ. ثم دعاني المنصور فقال: أقبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: اغدُ عليّ بأكفائهنّ حتى أزوّجهنّ منهم؛ قال: فغدوت عليه بثلاثةٍ من ولد العكيّ وثلاثة من آل نهيك من بني عمّهنّ، فزوّج كل واحدةٍ منهن على ثلاثين ألف درهمٍ، وأمر أن تحمل إليهنّ صدقاتهن من ماله، وأمرني أن أشتري بما أمر به لهنّ ضياعاً، يكون معاشهنّ منها، ففعلت ذلك.

• وذُكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: حدثني الفضل بن الربيع، عن أبيه قال: جلس أبو جعفر المنصور للمدنيين مجلساً عاماً ببغداد فدخل عليه فيمن دخل شاب من ولد عمرو بن حزم، فانتسب ثم قال: يا أمير المؤمنين، قال الأحوص فينا شعراً مُنعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنةً، فقال أبو جعفر: فأنشدني، فأنشده:

لا تَـأْوِيَـنَّ لـحـزمـيٍّ رأيـت بـه
فقراً وإن أُلقي الحزميّ في النار
الناخسين بمروانٍ بذي خُشُبٍ
والداخلين على عثمان في الدار

قال: والشعر في المدح للوليد بن عبد الملك، فأنشده القصيدة، فلما بلغ هذا الموضع قال الوليد: أذكرتني ذنب آل حزمٍ، فأمر باستصفاء أموالهم. فقال أبو جعفر: أَعِد عليّ الشعر، فأعاده ثلاثاً، فقال له أبو جعفر: لا جرم، إنك تحتظي بهذا الشعر كما حُرِمت به، ثم قال لأبي أيوب: هات عشرة آلاف درهمٍ فادفعها إليه لغنائه إلينا، ثم أمر أن يُكتب إلى عماله أن تُردّ ضياع آل حزمٍ عليهم، ويُعطوا غلّاتها في كل سنةٍ من ضياع بني أمية، وتقسّم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، ومن مات منهم وُفِّر على ورثته. قال: فانصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد من الناس.

• وحدّثني جعفر بن أحمد بن يحيى، قال: حدّثني أحمد بن أسد، قال: أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس والركوب، فقال الناس: هو عليل، وكثروا، فدخل عليه الربيع، فقال: يا أمير المؤمنين، لأمير المؤمنين طول البقاء، والناس يقولون، قال: ما

يقولون؟ قال: يقولون: عليل، فأطرق قليلاً ثم قال: يا ربيع ما لنا وللعامّة! إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خلال، فإذا فُعل ذلك بها فما حاجتهم، إذا أُقيم لهم من ينظر في أحكامهم فينصف بعضهم من بعض، ويُؤمِن سُبُلَهم حتى لا يخافوا في ليلهم ولا نهارهم، ويسدّ ثغورهم وأطرافهم حتى لا يجيئهم عدوّهم، وقد فعلنا ذلك بهم، ثم مكث أياماً، وقال: يا ربيع، اضرب الطبل، فركب حتى رآه العامة.

• وذكر أبو بكر الهُذَليّ أن أبا جعفر كان يقول: ليس بإنسانٍ من أُسْدِيَ إليه معروف فنسيه دون الموت.

• وذُكر عن أبان بن يزيد العنبري أن الهيثم القارئ البصري قرأ عند المنصور: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ إلى آخر الآية، فقال له المنصور، وجعل يدعو: اللهم جنبني وبنيّ التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيتك.

• وقرأ الهيثم عنده: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾[1]. فقال للناس: لولا أن الأموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزّهما وزينتهما ما بتّ ليلةً وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهماً، لما أجد

(١) سورة النساء: الآية ٣٧.

لبذل المال من اللّذة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة.

• وكان المنصور كثيراً ما يقول: من فعل بغير تدبيرٍ، وقال عن غير تقديرٍ، لم يعدم من الناس هازئاً أو لاحياً.

• وذُكر عن قحطبة، قال: سمعت المنصور يقول: الملوك تحتمل كل شيءٍ من أصحابها إلا ثلاثاً: إفشاء السرّ، والتعرّض للحُرْمة، والقدح في المُلك.

• وذكر علي بن محمد أن المنصور كان يقول: سرّك من دمك، فانظر من تُمَلّكُه.

• وذكر عن عمر بن شبّة، أن قحطبة بن غُدانة الجشمي ـ وكان من أصحاب المنصور ـ قال: سمعت أبا جعفر المنصور يخطب بمدينة السلام سنة اثنتين وخمسين ومائةٍ فقال: يا عباد الله لا تظالموا، فإنها مظلمة يوم القيامة، والله لولا يد خاطئة، وظلم ظالمٍ لمشيت بين أظهركم في أسواقكم، ولو علمت مكان من هو أحقّ بهذا الأمر مني لأتيتُه حتى أدفعه إليه.

• وذكر إسحاق الموصلي، عن النضر بن حديد، قال: حدثني بعض أصحاب المنصور أنه كان يقول: عقوبة الحليم التعريض، وعقوبة السفيه التصريح.

• وذكر أحمد بن خالد، قال: حدثني يحيى بن أبي نصر القرشي، أن أباناً القارئ قرأ عند المنصور: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ...﴾[1] فقال المنصور: ما أحسن ما أدّبنا ربنا.

• وقال: قال المنصور: من صنع مثل ما صُنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف فقد شكر، ومن شكر كان كريماً، ومن علم أنه إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم من مودتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما آتيته إلى نفسك، ووقيت به عرضك. واعلم أن طالب الحاجة إليك لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن ردّه.

• وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن عبد الوهاب المهلبيّ، حدّثه، قال: سمعت إسحاق بن عيسى يقول: لم يكن أحد من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة غير أبي جعفر، وداود بن علي، والعباس بن محمد.

• وقال عيسى بن عبد الله بن حميد: حدثني إبراهيم بن عيسى، قال: خطب أبو جعفر المنصور في

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

هذا المسجد ـ يعني به مسجد المدينة ببغداد ـ فلما بلغ: اتقوا الله حق تقاته، قام إليه رجل، فقال: وأنت يا عبد الله فاتق الله حق تقاته... فقطع أبو جعفر الخطبة، وقال: سمعاً سمعاً، لمن ذكّر بالله، هات يا عبد الله، فما تُقى الله؟ فانقطع الرجل فلم يقل شيئاً، فقال أبو جعفر: الله الله أيها الناس في أنفسكم، لا تحملونا من أموركم ما لا طاقة لكم به، لا يقوم رجل هذا المقام إلا أوجعت ظهره، وأطلت حبسه. ثم قال: خذه إليك يا ربيع، قال: فوثقنا له بالنجاة ـ وكانت العلامة فيه إذا أراد بالرجل مكروهاً قال: خذه إليك يا مسيّب ـ قال: ثم رجع في خطبته من الموضع الذي كان قطعه، فاستحسن الناس ذلك منه، فلما فرغ من الصلاة دخل القصر، وجعل عيسى بن موسى على هينته خلفه، فأحسّ به أبو جعفر، فقال: أبو موسى؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين؛ قال: كأنك خفتني على هذا الرجل، قال: والله لقد سبق إلى قلبي بعض ذلك، إلا أن أمير المؤمنين أكثر علماً، وأعلى نظراً من أن يأتي في أمره إلا الحق، فقال: لا تخفني عليه. فلما جلس قال: عليّ بالرجل، فأُتي به؛ فقال: يا هذا، إنك لما رأيتني على المنبر، قلت: هذا الطاغية لا يسعني إلا أن أكلمه، ولو شغلت نفسك بغير هذا لكان أمثل لك،

فاشغلها بظماء الهواجر، وقيام الليل، وتغبير قدميك في سبيل الله، أعطه يا ربيع أربعمائة درهمٍ، واذهب فلا تعد.

• وذُكر عن عبد الله بن صاعد، مولى أمير المؤمنين أنه قال: حجّ المنصور بعد بناء بغداد، فقام خطيباً بمكة، فكان مما حفظ من كلامه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1]. أمر مبرم، وقول عدلٍ، وقضاء فصلٍ، والحمد لله الذي أفلج حجته، وبُعداً للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة عرضاً، والفيء إرثاً، وجعلوا القرآن عضين، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكم ترى من بئرٍ معطلةٍ وقصرٍ مشيدٍ، أهملهم الله حتى بدّلوا السنة، واضطهدوا العِتْرة، وعندوا واعتدوا، واستكبروا وخاب كل جبارٍ عنيدٍ، ثم أخذهم، فهل تُحِسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكْزاً.

• وذكر الهيثم بن عدي، عن ابن عيّاش، قال: إن الأحداث لما تتابعت على أبي جعفر، تمثّل:

تفرّقت الظّباء على خِداشٍ
فما يدري خِداش ما يصيد

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

قال: ثم أمر بإحضار القواد، والموالي، والأصحاب، وأهل بيته، وأمر حمّاداً التركي بإسراج الخيل، وسليمان بن مجالد بالتقدّم، والمسيّب بن زهير بأخذ الأبواب، ثم خرج في يومٍ من أيامه حتى علا المنبر.

قال: فأَزِمَ عليه طويلاً لا ينطق. قال رجل لشبيب بن شيبة: ما لأمير المؤمنين لا يتكلم! فإنه والله ممن يهون عليه صِعاب القول، فما باله! قال: فافترع الخطبة، ثم قال:

ما لي أكفكف عن سعدٍ ويشتمني
ولو شتمت بني سعدٍ لقد سكنوا
جهلاً عليّ وجبناً عن عدوِّهِمُ
لبئست الخلّتان الجهل والجبن

ثم جلس وقال:

فألقيت عن رأسي القناع ولم أكن
لأكشفه إلا لإحدى العظائم

والله لقد عجزوا عن أمرٍ قمنا به، فما شكروا الكافي، ولقد مهّدوا فاستوعروا وغمطوا الحق وغمصوا، فماذا حاولوا! أشرب رنقاً على غصصٍ، أم أُقيم على ضيمٍ ومضض! والله لا أكرم أحداً على إهانة

نفسي، والله لئن لم يقبلوا الحق ليطلبُنّه ثم لا يجدونه عندي، والسعيد من وُعِظ بغيره. قدّم يا غلام، ثم ركب.

• وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن الفضل بن الربيع أخبره عن أبيه قال: قال المنصور: قال أبي: سمعت أبي علي بن عبد الله يقول: سادة الدنيا الأسخياء، وسادة الآخرة الأنبياء.

• وخطب المنصور بالمدائن عند قتل أبي مسلم، فقال:

أيها الناس، لا تخرجوا عن أُنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تُسِرُّوا غشّ الأئمة، فإنه لم يُسرّ أحد قطّ منكرةً إلا ظهرت في آثار يده، أو فلتات لسانه، وأبداها الله لإمامه، بإعزاز دينه، وإعلاء حقه. إنا لن نبخسكم حقوقكم، ولن نبخس الدين حقه عليكم. إنا من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبيّ هذا الغمد. وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه.

• وذُكر عن أبي بكر الهذليّ، قال: كتب صاحب إرمينية إلى المنصور: إن الجند قد شغبوا عليه، وكسروا

أقفال بيت المال، وأخذوا ما فيه، فوقّع في كتابه: اعتزل عملنا مذموماً، لو عقلت لم يشغبوا، ولو قويت لم ينتهبوا.

• ورفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حدًّا من ضيعته، فأضافه إلى ماله، فوقّع إلى عامله في رقعة المتظلّم: إن آثرتَ العدل صحبتك السلامة، فأنصف هذا المتظلّم من هذه الظلامة.

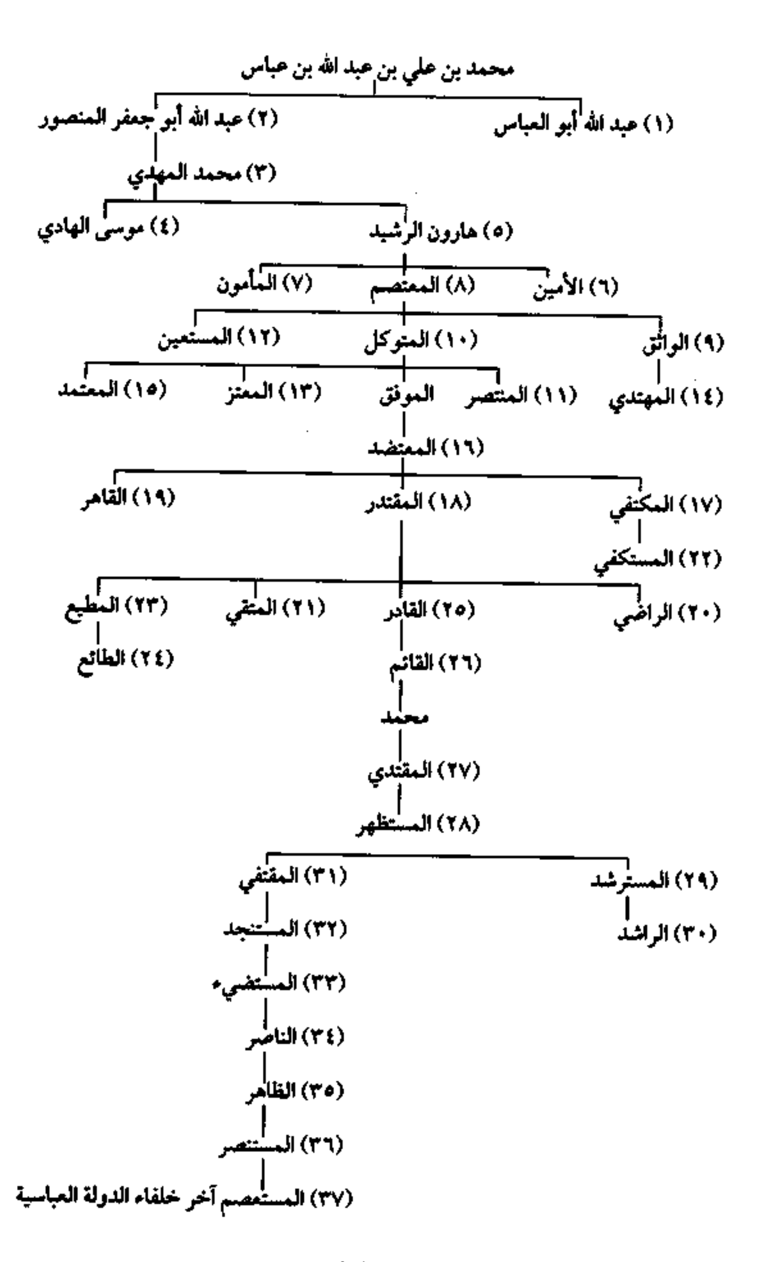
• قال: ورفع رجل من العامة إليه رقعةً في بناء مسجدٍ في محلّته، فوقع في رقعته: من أشراط الساعة كثرة المساجد، فزد في خطاك تزدد من الثواب.

• قال: وتظلّم رجل من أهل السواد من بعض العمال، في رقعةٍ رفعها إلى المنصور، فوقع فيها: إن كنت صادقاً فجئ به مُلبّباً فقد أذنّا لك في ذلك[1].

• المنصور أبو الخلفاء العباسيين فخمسة وثلاثون خليفةً من نسله أبناءً وأحفاداً من سبعةٍ وثلاثين خليفةً تسلّموا الخلافة من بني العباس، أي يُضاف إلى أبنائه وأحفاده اثنان فقط: المنصور أحدهما، وأخوه أبو العباس ثانيهما.

---

(١) تاريخ الطبري.


محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
(١) عبد الله أبو العباس
(٢) عبد الله أبو جعفر المنصور
(٣) محمد المهدي
(٥) هارون الرشيد
(٤) موسى الهادي
(٦) الأمين
(٨) المعتصم
(٧) المأمون
(٩) الواثق
(١٠) المتوكل
(١٢) المستعين
(١٤) المهتدي
(١١) المنتصر
الموفق
(١٣) المعتز
(١٥) المعتمد
(١٦) المعتضد
(١٧) المكتفي
(١٨) المقتدر
(١٩) القاهر
(٢٢) المستكفي
(٢٠) الراضي
(٢٥) القادر
(٢١) المتقي
(٢٣) المطيع
(٢٤) الطائع
(٢٦) القائم
محمد
(٢٧) المقتدي
(٢٨) المستظهر
(٢٩) المسترشد
(٣١) المقتفي
(٣٠) الراشد
(٣٢) المستنجد
(٣٣) المستضيء
(٣٤) الناصر
(٣٥) الظاهر
(٣٦) المستنصر
(٣٧) المستعصم آخر خلفاء الدولة العباسية

• وسّع أبو جعفر المنصور المسجد الحرام سنة تسع وثلاثين ومائة.

• حج أبو جعفر المنصور في خلافته أربع مرات في السنوات ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٢. وقد بويع بالخلافة وهو راجع من الحج، وتوفي وهو في طريقه إلى الحج.



الفصل السّادس

ولاية العهد ووفاة المنصور

كان أبو العباس قد عهد من بعده لأخيه عبد الله أبي جعفر، ومن بعد أبي جعفر لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، وكان أبو العباس قد ولّى عيسى بن موسى الكوفة وسوادها.

وتوفّي أبو العباس وآل الأمر إلى أبي جعفر فأقرّ عيسى بن موسى على ولاية الكوفة وسوادها، وكان له مكرماً مُجلّاً، وكان إِذا دخل عليه أجلسه عن يمينه، وأجلس المهدي عن يساره، فكان ذلك شأنه معه.

وكان في نفس المنصور أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، ويعهد بها إلى ولده محمد المهدي، غير أن الظروف لم تُناسبه إذ كان عبد الله بن علي قد خلع الطاعة، وكانت مشكلة أبي مسلم، وما أن انتهى من هذين الموضوعين حتى كان خروج محمد بن

عبد الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة، وقد كلّف عيسى بن موسى ولي العهد في قتالهما. بل عندما بعث عيسى بن موسى لقتال محمد بن عبد الله بن حسن في المدينة قال: لا أبالي أيهما قتل الآخر. واستطاع عيسى بن موسى - بإذن الله - القضاء على محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن. وهكذا صفا الجو للمنصور وهدأت الأمور فالتفت إلى ولاية العهد ليجعلها في ولده محمد المهدي.

عزم المنصور على الحج سنة سبعٍ وأربعين ومائة فعزل عيسى بن موسى عن الكوفة وسوادها، وولّى مكانه محمد بن سليمان بن علي، وأوفد عيسى إلى دار السلام، ثم دعا به، فدفع إليه عبد الله بن عليّ سرًّا في جوف الليل، ثم قال له: يا عيسى، إن هذا أراد أن يزيل النعمة عني وعنك، وأنت ولي عهدي، والخلافة صائرة إليك، فخذه إليك فاضرب عنقه، وإياك أن تخور أو تضعف، فتنقض عليّ أمري الذي دبّرت، ثم مضى لوجهه، وكتب إليه من طريقه ثلاث مراتٍ يسأله: ما فعل في الأمر الذي أوعز إليه فيه؟ فكتب إليه: قد أنفذت ما أمرت به، فلم يشكّ أبو جعفر في أنه قد فعل ما أمره به، وأنه قد قتل عبد الله بن عليّ، وكان عيسى

حين دفعه إليه ستره، ودعا كاتبه يونس بن فروة، فقال له: إن هذا الرجل قد دفع إليّ عمّه، وأمرني فيه بكذا وكذا. فقال له: أراد أن يقتلك ويقتله. أمرك بقتله سرًّا، ثم يدّعيه عليك علانيةً ثم يُقِيدك به. قال: فما الرأي؟ قال: أن تستره في منزلك، فلا تُطلع على أمره أحداً، فإن طلبه منك علانيةً دفعته إليه علانيةً، ولا تدفعه إليه سرّاً أبداً، فإنه وإن كان أسرّه إليك، فإن أمره سيظهر. ففعل ذلك عيسى.

وقدم المنصور، ودسّ إلى عمومته من يُحرّكهم على مسألته هبة عبد الله بن عليّ لهم، ويُطمعهم في أنه سيفعل، فجاءوا إليه وكلّموه ورقّقوه، وذكروا له الرحم، وأظهروا له رِقّة، فقال: نعم، عليّ بعيسى بن موسى، فأتاه، فقال: يا عيسى قد علمت أني دفعت إليك عمّي وعمّك عبد الله بن عليّ قبل خروجي إلى الحجّ، وأمرتك أن يكون في منزلك، قال: قد فعلت ذلك يا أمير المؤمنين، قال: قد كلّمني عمومتك فيه، فرأيت الصفح عنه وتخلية سبيله، فأتنا به. فقال: يا أمير المؤمنين، ألم تأمرني بقتله فقتلته! قال: ما أمرتك بقتله، إنما أمرتك بحبسه في منزلك. قال: قد أمرتني بقتله، قال له المنصور: كذبت، ما أمرتك بقتله. ثم

قال لعمومته: إن هذا قد أقرّ لكم بقتل أخيكم، وادّعى أني أمرته بذلك، وقد كذب، قالوا: فادفعه إلينا نقتله به، قال: شأنكم به، فأخرجوه إلى الرحبة، واجتمع الناس، وشُهِر الأمر، فقام أحدهم فشهر سيفه، وتقدّم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أفاعل أنت؟ قال: إي والله، قال: لا تعجلوا، ردّوني إلى أمير المؤمنين. فردّوه إليه، فقال: إنما أردتَ بقتله أن تقتلني، هذا عمُّك حيّ سويّ، إن أمرتني بدفعه إليك دفعته. قال: ائتنا به، فأتاه به، فقال له عيسى: دبّرت عليَّ أمراً فخشيته، فكان كما خشيت، شأنك وعمك. قال: يدخل حتى أرى رأيي. ثم انصرفوا، ثم أمر به فجُعل في بيتٍ أساسه ملح، وأجري في أساسه الماء، فسقط عليه فمات، فكان من أمره ما كان، وتوفي عبد الله بن عليّ في سنة سبعٍ وأربعين ومائة، ودُفن في مقابر باب الشام، فكان أول من دفن فيها[1].

لما عزم المنصور على تقديم ابنه محمد المهدي في ولاية العهد على ابن أخيه عيسى بن موسى حسب عهد أبي العباس بذلك، كلّم المنصور عيسى بن موسى

(١) تاريخ الطبري.

برقيقٍ من الكلام، فقال عيسى: يا أمير المؤمنين، فكيف بالأيمان والمواثيق التي عليّ وعلى المسلمين لي من العتق والطلاق وغير ذلك من مُؤكّد الأيمان! ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين. فلما رأى أبو جعفر امتناعه، تغيّر لونه وباعده بعض المباعدة، وأمر بالإذن للمهدي قبله.

ثم إن المنصور خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقدّم عليه ابنه المهدي، وكان يجلسه فوق عيسى بن موسى عن يمينه، ثم كان لا يلتفت إلى عيسى بن موسى ويهينه في الإذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده، ثم ما زال يُقصيه ويُبعده ويتهدّده ويتوعّده حتى خلع نفسه بنفسه، وبايع لمحمد بن المنصور، وأعطاه المنصور على ذلك نحواً من اثني عشر ألف ألف درهمٍ، وانصلح أمر عيسى بن موسى وبنيه عند المنصور، وأقبل عليه بعدما كان قد أعرض عنه. وكان قد جرت بينهما قبل ذلك مكاتبات في ذلك كثيرة جداً، ومراودات في تمهيد البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه، وأن العامة لا يعدلون بالمهدي أحداً، وكذلك الأمراء والخواص. ولم يزل به حتى أجاب إلى ذلك مكرهاً، فعوّضه عن ذلك ـ كما ذكرنا ـ

وسارت بيعة المهدي في الآفاق شرقاً وغرباً، وبُعداً وقُرباً، وفرح المنصور بذلك فرحاً شديداً، واستقرت الخلافة في ذرّيته، فلم يكن خليفة من بني العباس إلا من سلالته (ذلك تقدير العزيز العليم)[1].

وقال عيسى بن موسى حين خلع نفسه بنفسه: نعم، قد بعت نصيبي من تقدمة ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي بعشرة آلاف ألف درهمٍ وثلاثمائة ألف بين ولدي فلان وفلان ـ سمّاهم ـ وسبعمائة ألفٍ لفلانةٍ امرأةٍ من نسائه ـ سمّاها ـ بطيب نفسٍ مني وحبٍّ، لتصييرها إليه لأنه أولى بها وأحقّ، وأقوى عليها وعلى القيام بها، وليس لي فيها حق لتقدّمه قليل ولا كثير، فما ادعيته بعد يومي هذا فأنا فيه مبطل لا حق لي فيه ولا دعوى ولا طلبة[2].

وكسا أمير المؤمنين عيسى وابنه موسى وغيره من ولده كسوةً بقيمة ألف ألف درهمٍ ونيف ومائتي ألف درهمٍ.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

(٢) تاريخ الطبري.

وكانت ولاية عيسى بن موسى الكوفة وسوادها وما حولها ثلاث عشرة سنةً حتى عزله المنصور، واستعمل محمد بن سليمان بن علي حين امتنع من تقديم المهدي على نفسه.

وعاد أبو جعفر المنصور فجدّد البيعة لابنه محمد المهدي من بعده، ولابن أخيه عيسى بن موسى من بعد المهدي على أهل بيته في مجلسه في يوم جمعة من سنة إحدى وخمسين ومائة.

وفاة المنصور:

أهلّ المنصور بالحج والعمرة، وساق معه الهدي وأشعره وقلّده من الرصافة لأيامٍ خلت من ذي القعدة من سنة ثمانٍ وخمسين ومائة. فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذي توفّي منه.

واختلف في سبب الوجع الذي كانت منه وفاته. فقيل: كان لا يستمرئ طعامه فأخذ يستعمل بعض الأدوية، وهي التي سبّبت له مرضاً في معدته.

وقيل: سقط عن دابته، فشُجّ ما بين حاجبيه.

وقيل: كان بدء وجعه الذي مات فيه من حرٍّ أصابه من ركوبه في الهواجر، وكان رجلاً محروراً على

سنّه، يغلب عليه المرار الأحمر، ثم هاض بطنه، فلم يزل كذلك حتى نزل بستان ابن عامر، فاشتدّ به، فرحل عنه فقصر عن مكة، ونزل بئر ابن المرتفع، فأقام بها يوماً وليلةً، ثم صار منها إلى بئر ميمون، وهو يسأل عن دخوله الحرم، ويوصي الربيع بن يونس بما يريد أن يوصيه، وتوفي بها في السحر أو مع طلوع الفجر ليلة السبت لستٍّ خلون من ذي الحجة سنة ثمانٍ وخمسين ومائة، ولم يحضره عند وفاته إلا خدمه والربيع مولاه. فكتم الربيع موته، ومنع النساء وغيرهنّ من البكاء عليه والصراخ، ثم أصبح فحضر أهل بيته كما كانوا يحضرون، وجلسوا مجلسهم، فكان أول من دُعي به عيسى بن عليّ عمّ المنصور، فمكث ساعة، ثم أُذِن لعيسى بن موسى، ولي العهد، ابن أخي المنصور ـ وقد كان فيما خلا يُقدّم في الإذن على عيسى بن عليّ، فكان ذلك مما ارتيب به ـ ثم أُذِن للأكابر وذوي الأسنان من أهل البيت، ثم لعامّتهم، فأخذ الربيع بيعتهم لأمير المؤمنين محمد المهدي بن المنصور ولعيسى بن موسى من بعده، على يد موسى بن المهدي حتى فرغ من بيعة بني هاشم، ثم دعا بالقواد فبايعوا ولم ينكل منهم عن ذلك رجل إلا علي بن عيسى بن ماهان، فإنه أبى عن ذكر عيسى بن موسى أن يبايع له،

فلطمه محمد بن سليمان، وقال: ومن هذا العلج، وشتمه، وهمّ بضرب عنقه، فبايع وتتابع الناس بالبيعة. وكان المسيب بن زهير أول من استثنى في البيعة، وقال عيسى بن موسى: إن كان كذلك فأمضوه.

وخرج موسى بن المهدي إلى مجلس العامة، فبايع من بقي من القواد والوجوه، وتوجّه العباس بن محمد، ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبايع أهلها بها، وكان العباس بن محمد يومئذ المتكلم، فبايع الناس للمهدي بين الركن والمقام، وتفرّق عدة من أهل بيت المهدي في نواحي مكة والعسكر فبايعه الناس، وأُخذ في جهاز المنصور وغسله وكفنه، وتولى ذلك من أهل بيته أخوه العباس بن محمد، والربيع والرّيان وعدة من خدمه ومواليه، ففُرغ من جهازه مع صلاة العصر، وغُطّي من وجهه وجميع جسده بأكفانه إلى قُصاص شعره، وأُبدي رأسه مكشوفاً من أجل الإحرام، وخرج به أهل بيته والأخصّ من مواليه، وصلّى عليه ابن أخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي، وقيل: إن المنصور كان أوصى بذلك، وذلك أنه كان خليفته على الصلاة بمدينة السلام.

ودفن في المقبرة التي عند ثنية المدنيين التي تُسمّى ثنية المَعْلاة لأنها بأعلى مكة، ونزل في قبره عمّه

عيسى بن عليّ، والعباس بن محمد أخوه، وابن أخيه وولي عهده عيسى بن موسى، والربيع والرّيّان مولياه، ويقطين بن موسى.

وتوفي المنصور وهو ابن أربعٍ وستين سنةً، وتولّى الخلافة اثنتين وعشرين سنةً إلا أياماً.

ومما رُثي به قول سلْم الخاسر:

عجباً للذي نعى الناعيان
كيف فاهت بموته الشفتان
ملك إن غدا على الدهر يوماً
أصبح الدهر ساقطاً للجِران
ليت كفًّا حَثَتْ عليه تراباً
لم تعد في يمينها ببنان
حين دانت له البلاد على العَسـ
ـف وأغضى من خوفه الثقلان
أين ربُّ الزوراء قد قلّدته الـ
ـملك، عشرون حجةً واثنتان
إنما المرء كالزناد إذا ما
أخذته قوادح النيران
ليس يثني هواه زجر ولا يقـ
ـدح في حبله ذوو الأذهان

قلّدته أعنّة الملك حتى
قاد أعداءه بغير عنان
يُكْسَرُ الطرفُ دونه وترى الأيـ
ـدي من خوفه على الأذقان
ضمّ أطراف ملكه ثم أضحى
خلف أقصاهم ودون الداني
هاشميّ التشمير لا يحمل الثقـ
ـل على غارب الشرود الهدان
ذو أناةٍ ينسى لها الخائف الخو
ف وعزم يُلوى بكل جَنان
ذهبت دونه النفوس حِذاراً
غير أن الأرواح في الأبدان

❁ ❁ ❁

الفصل السابع

أسرة المنصور

أسرة أبي جعفر المنصور أسرة عباسية هاشمية.

والد المنصور:

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد سنة اثنتين وستين، وتوفي سنة خمسٍ وعشرين ومائة. وقد ذكرنا شيئاً عنه، في الكتاب السابق الذي خُصّص لأبي العباس أخي أبي جعفر.

والدة المنصور:

أمّ ولدٍ بربرية تُدعى «سلامة».

إخوة المنصور:

١ ـ إبراهيم بن محمد، أبو إسحاق: ولد سنة اثنتين وثمانين، نشأ ببلدة الحميمة جنوبي بلاد الشام، على مقربةٍ من معان، حيث كانت بها منازل بني العباس.

عهد إليه أبوه بقيادة الدعوة فعُرف باسم «الإمام»، وكان يُكاتب أعوانه في خراسان ويُراسلونه فاكتشف أمره، فألقي القبض عليه، وحمل إلى حران، حيث سُجن هناك ومات في السجن سنة إحدى وثلاثين ومائة. وقد أوصى لأخيه أبي العباس بقيادة الدعوة.

ومن أبناء إبراهيم بن محمد: محمد بن إبراهيم، وعبد الوهاب بن إبراهيم.

٢ ـ عبد الله بن محمد، أبو العباس: وقد ولي الخلافة، وكان أول خلفاء بني العباس.

ولد سنة خمسٍ ومائة، وأُفرد له كتاب خاص.

٣ ـ العباس بن محمد، أبو الفضل: ولد سنة عشرين ومائة. ولّاه المنصور دمشق وبلاد الشام كلها. وولي إمرة الجزيرة الفراتية أيام الرشيد، وأرسله المنصور لغزو الروم في ستين ألفاً، وحجّ بالناس عدة مراتٍ، ومات ببغداد سنة ستٍ وثمانين ومائة في خلافة هارون الرشيد، وكان الرشيد يهابه ويُجلّه. وكان من رجالات بني هاشم جوداً ورأياً وشجاعةً، وكان من أنبل بني العباس في وقته.

وتُنسب إليه محلّة العباسة بالجانب الغربي من بغداد، ودُفن فيها.

٤ ـ يحيى بن محمد: أمير، كان في جملة القائمين على بني مروان، فلما قامت الخلافة العباسية ولّاه أبو العباس إمرة الموصل، ثم نقله إلى إمرة فارس فأقام بها إلى أن توفي سنة خمسٍ وثلاثين ومائة، وكان شجاعاً عاقلاً.

٥ ـ موسى بن محمد:

زوجات المنصور:

تزوج أبو جعفر المنصور عدة زوجاتٍ، وهنّ:

١ ـ أروى بنت منصور الحميرية، أم موسى: وكانت قد شرطت على المنصور قبل زواجها منه ألا يتزوج عليها ولا يتسرّى، وكتبت عليه بذلك كتاباً أكّدته وأشهدت عليه شهوداً، فبقيت معه وحدها عشر سنواتٍ، ثم ماتت سنة ستٍ وخمسين ومائة.

وأنجبت له جعفر الأكبر ومحمد المهدي.

٢ ـ فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله التيمي، رضي الله عنه، وهو أحد المبشّرين بالجنة.

وأنجبت له: سليمان، وعيسى، ويعقوب، وعبد العزيز.

٣ ـ امرأة من بني أمية، وأنجبت له «العالية».

هذا عدا أمهات الأولاد.

أبناء المنصور:

كان لأبي جعفر المنصور من البنين:

١ ـ جعفر الأكبر: وأمه أروى بنت منصور الحميرية، وتوفي سنة خمسين ومائة بمدينة السلام، وصلى عليه أبوه المنصور، ودفن ليلاً في مقابر قريش. وبذا كانت وفاته قبل وفاة أبيه بثمان سنوات. ومن بناته زبيدة التي تزوّجها ابن أخيه هارون بن محمد المهدي. وأمها أم ولد تدعى «سلسبيل».

٢ ـ محمد المهدي: وهو شقيق جعفر الأكبر، وقد تولّى الخلافة بعد أبيه، وسنفرد له بحثاً خاصاً ـ إن شاء الله ـ.

٣ ـ سليمان: وأمه فاطمة بنت محمد التيمية. وله بنت تدعى العباسة تزوجها ابن أخيه هارون الرشيد بن محمد المهدي.

٤ ـ يعقوب: وهو شقيق سليمان.

٥ ـ عيسى: وهو شقيق يعقوب وسليمان.

٦ ـ عبد العزيز: وهو شقيق عيسى ويعقوب وسليمان.

٧ ـ صالح: ويعرف بـ«صالح المسكين»، وأمه أم ولد رومية يقال لها: «قالى الفرّاشة».

ولصالح ابنة تسمّى: «أم محمد» تزوجها ابن أخيه هارون الرشيد بن محمد المهدي.

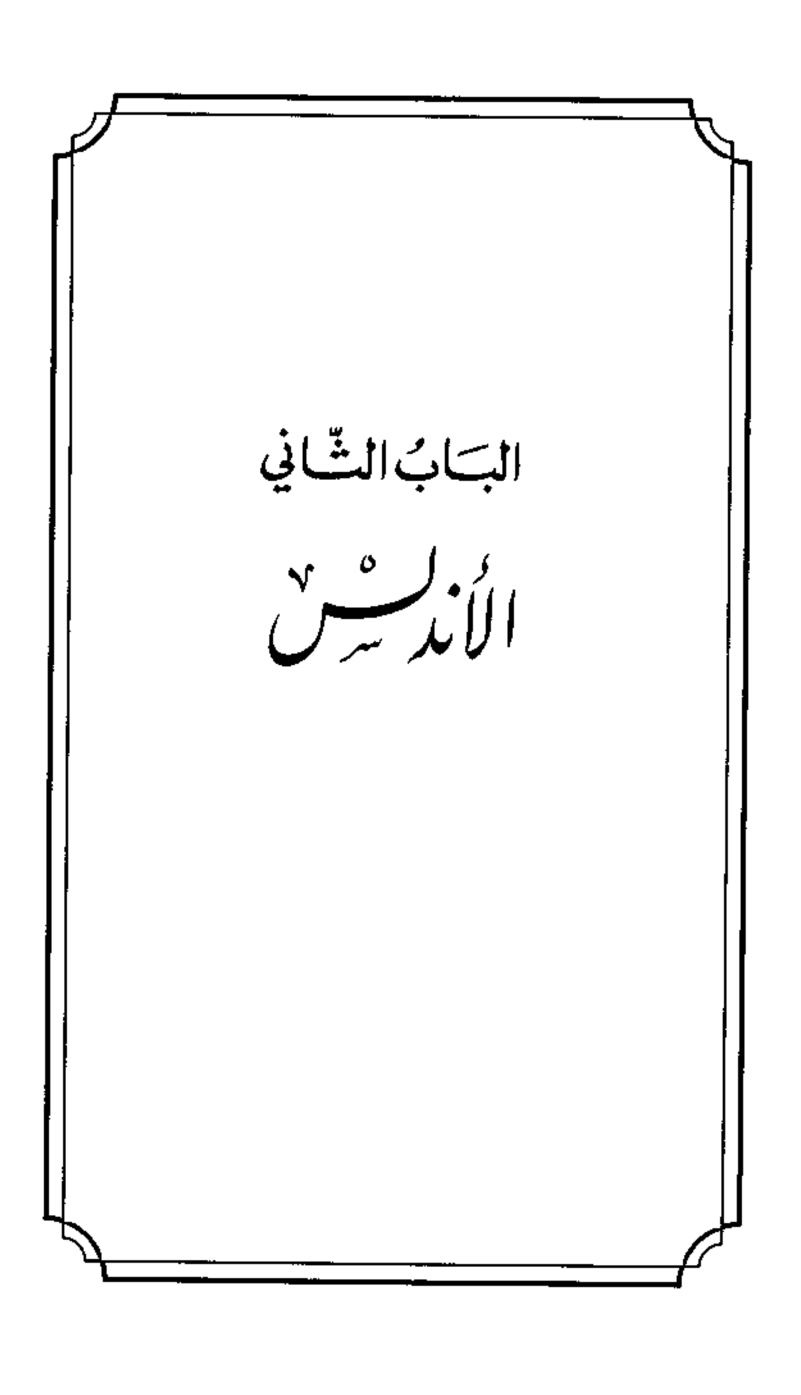
٨ ـ جعفر «الأصغر»: وأمه أم ولد كردية. ويقال لجعفر الأصغر هذا: «ابن الكردية».

٩ ـ القاسم: ومات قبل أبيه المنصور، وهو ابن عشر سنين، وأمه أم ولد تعرف «أم القاسم» ولها بباب الشام بستان يعرف ببستان أم القاسم.

وكان لأبي جعفر المنصور ابنة واحدة تُعرف باسم «العالية». وأمها امرأة من بني أمية، وتزوّجت العالية ابن عم أبيها إسحاق بن سليمان بن علي[1].

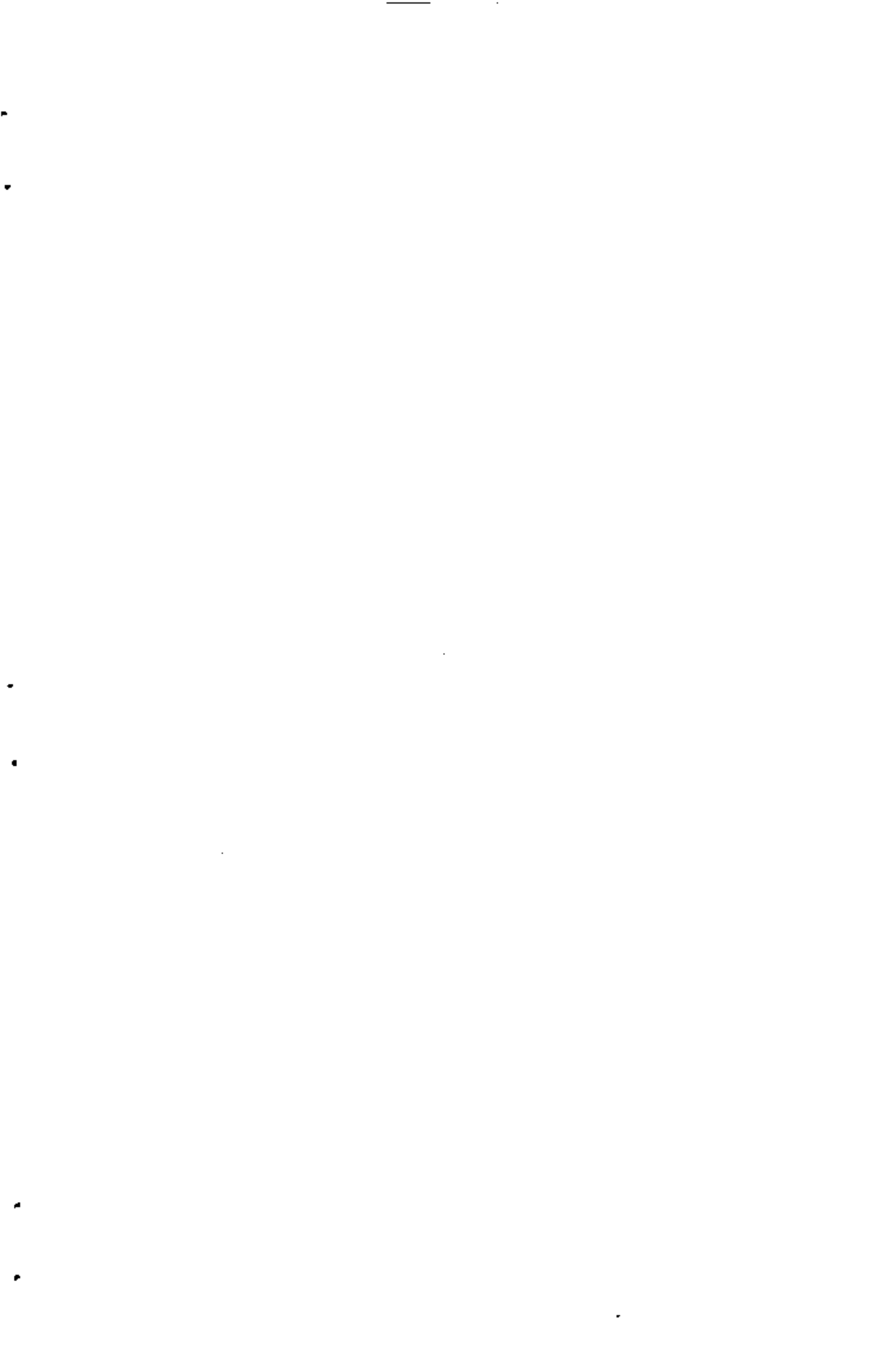
---

(١) إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس: من أمراء الدولة العباسية. ولي إمرة المدينة سنة ١٧٠ للرشيد، ثم ولي السند ومكران سنة ١٧٤، وولي الإمارة بمصر سنة ١٧٧ فاستمر سنة وأياماً وصُرف عنها فتوجّه للرشيد.



الباب الثاني

الأندلس





مقدمة

المسلمون أمة واحدة يتبعون خليفةً واحداً مهما ترامت ديارهم واتسع سلطانهم، وذاك فيما إذا كانت أمصارهم متصلةً، ولا يصحّ قيام خليفتين في وقتٍ واحدٍ. عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما)[1].

ولكن إن كان هناك فاصل يعود لغير المسلمين، أو كان هناك مسلمون أقلية يعيشون بين ظهراني غير مسلمين كأن تكون هذه الأقلية دخلت بالإسلام كأفرادٍ في مجتمعٍ غير مسلمٍ، ولم يتمكّنوا من الهجرة فلهؤلاء حكم خاص.

وإن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي عُرف بالداخل قد قطع صلته بالخلافة الإسلامية، ولكنه لم يدّعِ الخلافة حيث لا يصحّ قيام خليفتين في وقتٍ

---

(١) رواه مسلم ١٨٥٤.

واحدٍ. وكان قطعه الصلة لأسبابٍ وقع فيها خطأ من الأساس، فهو رجل مُلاحق من قبل الخليفة، فلا يمكنه الاعتراف بسلطان الخليفة عليه، فالاعتراف يقضي الخضوع، وتنفيذ الأوامر، فلو طلب منه تسليم نفسه لوجب عليه الفعل، وسيصل به الأمر إلى القتل.

والخطأ من الأساس أن قامت جماعة تُناهض الخلافة وتتنكّر لها ثم ادّعى أحد أفردها الخلافة وبايعته جماعته مع قيام خليفةٍ شرعيّ، فوجدت خلافتان، وهذا خلاف للشرع، ووقع الصراع بينهما حتى سيطر جانب بالغلبة. فهذا وضع خاص ومخالفة بيّنة.

ولما كنا نكتب عن خليفةٍ فإنا لا نكتفي أن نتكلّم عما تحت سلطانه بل لا بدّ من الحديث عن ديار المسلمين كافةً ما دام الأصل أن تتبع لخليفةٍ واحدٍ، وسكانها جزءاً من الأمة المسلمة.

لذا سنعرض لمحةً عن الأندلس التي انفصل بها عبد الرحمن الداخل عن ديار الإسلام.

دخل طارق بن زياد الأندلس في ٥ رجب سنة ٩٢، وتبعه موسى بن نصير في رمضان سنة ٩٣، وتمّ فتح الأندلس، وتوالى الأمراء عليها، وعاش الناس في أمنٍ وسعادةٍ.

ولما ضعفت الخلافة الإسلامية في الشام، ووقع الخلاف بين أفراد البيت الأموي، بزغ قرن الفتن في الأندلس، وحلت الدنيا في بعض النفوس فظهرت الأطماع وبرزت العصبيات، ووقع الصراع بين رؤوسها الذين يحاول كل منهم الاستئثار بالسلطان سعياً وراء المنافع وحباً بالمكانة والصدارة.

وقويت الدعوة العباسية في المشرق وظهرت، وأخذت تُنازل الأمويين. وانخرط في صفوف الجيوش العباسية المتلوّنون الذين يبتغون الفتنة ويعملون على إحداث شرخٍ في المجتمع الإسلامي في سبيل إضعافه كي يتمكّنوا من قهره وإعادة ما فقدوه من سلطانٍ، وما نُسي من مجوسية الآباء، لا حُبًّا ببني العباس، ولا دعماً لبني هاشم، ولا تأييداً لآل أبي طالب، ولا كُرهاً لبني أمية، ولكن حقداً على من يتولّى أمر المسلمين، ويقودهم للجهاد، ويفتح بهم البلدان.

ورجحت كفة بني العباس، وسيطروا على الساحة، وزالت خلافة بني أمية. غير أن المتلوّنين لا يريدون زوال دولةٍ وقيام غيرها قوية كسابقتها تعمل كما عمل أسلافها جهاداً وفتحاً، وتطبيق منهجٍ، لذا ما أن رأوا قوة العباسيين حتى أخذت تظهر الأحقاد وحتى

بدؤوا بالعمل على الضغط عليها بالإساءة لها وذلك بالتصرّفات المشينة، وكلها يُنسب إليها لأن ما يقوم به الأفراد من أعمالٍ يحمل القادة نتائجه. أخذ المتلوّنون يرتكبون أعمالاً مشينةً بعيدةً عن سلوك المسلمين من إبادةٍ للأمويين وأمرائهم ونبشٍ لقبور الخلفاء.

حار من نجا من الأمويين إلى أين يفرّ حيث كان أحدهم يرى الموت يُلاحقه حيثما يتلفّت، وأخذت عيون بعضهم ترنو إلى الأندلس لبعدها ولبقاء هيبة بني أمية في نفوس أهلها إذ لم يصل إليها بنو العباس بل يفصلهم عنها إفريقية (تونس) وبلاد المغرب، ويتولّى أمر تلك الجهات عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، وهو يتبع الخلافة أصلاً دون إعلان ذلك.

ومن الذين رنت أعينهم من الأمويين نحو الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان[1] فقد رأى الموت بعينيه، وكان

---

(١) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام: ولد عبد الرحمن بأرض تدمر سنة ثلاث عشرة ومائة في خلافة جده هشام بن عبد الملك. وتوفي أبوه معاوية وهو صغير فكفله جدّه الخليفة=

= هشام بن عبد الملك. وتوفي جده سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وقد بلغ عبد الرحمن الثانية عشرة من العمر، وبدأ يدرك ما يجري على الساحة السياسية، وأخذت الخلافة الأموية تتداعى، ونشطت الدعوة العباسية، ثم ظهرت ونازلت بني أمية الذين خسروا المعركة، وبدأ المتلوّنون في جرائمهم، وأخذوا يُلاحقون أفراد بني أمية، وكان عبد الرحمن متوارياً في قريةٍ، فإذا بالرايات السود تصل إلى القرية، ويبدأ المتلونون بالإبادة، فإذا بأخٍ لعبد الرحمن يُولّي هارباً، ويقول: النجاء يا أخي، فهذه رايات المسوّدة، يقول عبد الرحمن: فضربت يدي على دنانير تناولتها، ونجوت بنفسي والصبي وأخي معي، وأعلمت أخواتي بمتوجهي ومكان مقصدي، وأمرتهن أن يلحقنني ومولاي بدر معهن. وخرجت فكمنت في موضعٍ ناءٍ عن القرية، فما كان إلا ساعة حتى أقبلت الخيل، فأحاطت بالدار فلم تجد أثراً، ومضيت ولحقني بدر، وأتيت رجلاً من معارفي بشط الفرات، فأمرته أن يشتري لي دواب وما يصلح لسفري، فدلّ عليّ عبد سوءٍ له العاملَ، فما راعني إلا جلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا في الهرب، فسبقناها إلى الفرات، فرمينا فيه بأنفسنا، والخيل تُنادينا من الشط: ارجعا لا بأس عليكما، فسبحت حائنا لنفسي ـ وكنت أُحسن السباحة ـ وسبح الغلام أخي. فلما قطعنا نصف الفرات قصّر أخي ودُهش، فالتفت إليه لأقوّي من عزيمته، فإذا هو قد أصغى إليهم، وهم يخدعونه عن نفسه، فناديته: تُقتل يا أخي، إليّ إليّ، فلم يسمعني، وإذا هو قد اغترّ بأمانهم وخشي الغرق، فاستعجل الانقلاب نحوهم،=

= وقطعت أنا الفرات، وبعضهم قد همّ بالماء للسباحة في إثري، فاستكفه أصحابه عن ذلك فتركوني.
ثم قدّموا الصبي أخي الذي صار إليهم بالأمان فضربوا عنقه، ومضوا برأسه وأنا أنظر إليه، وهو ابن ثلاث عشرة سنةً، فاحتملت فيه ثُكلاً ملأني مخافةً، ومضيت إلى وجهي أحسب أني طائر وأنا ساعٍ على قدميّ، فلجأت إلى غيضةٍ فتواريت فيها حتى انقطع الطلب، ثم خرجت أؤم المغرب حتى وصلت إلى إفريقية.

وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى مصر، ومنها انتقل إلى برقة وبقي مستخفياً عند البربر فيها خمس سنواتٍ، ووصل خبره إلى عامل إفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري فأخذ يحتال ليقبض عليه. فارتحل عبد الرحمن بن معاوية إلى إفريقية (تونس). وأرسلت شقيقته أم الأصبغ في إثره مولاه بدراً، ومولاه سالماً، ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من الجوهر.
وارتحل عبد الرحمن بن معاوية إلى المغرب الأوسط، فلما وصل إلى وادي بجاية بعث غلامه ليشتري خبزاً، فأُنكرت الدراهم، وقُبض على الغلام، وضُرب فأقرّ، فسارت الخيالة إلى مقرّه، ورأى عبد الرحمن بن معاوية الفرسان، فهرب واستجار ببني رستم أصحاب تاهرت.
ثم نزل عبد الرحمن بن معاوية على قومٍ من زناتة البربر المعروفين فأحسنوا استقباله، واطمأن لوجوده بينهم، ثم لحق بمُليلة، وأخيراً انتقل إلى الأندلس، وتمكّن في ربيع الثاني سنة ١٣٨هـ. واستطاع أن يدخل قرطبة يوم الجمعة يوم العيد الأضحى من سنة ١٣٨. =

= ورغم سلطان عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس فقد بقي يحنّ إلى الشام. فقد أراد قاضيه معاوية بن صالح الحج فوجّهه عبد الرحمن إلى أختيه بالشام، وعمته رملة بنت هشام بن عبد الملك، ليعمل الحيلة في إدخالهن إلى الأندلس، وأنشد عند ذلك:

أيّها الركب الميمّم أرضي	أقرِ من بعضي السلام لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرضٍ	وفؤادي ومالكيه بأرض
قُدِّر البين بيننا فافترقنا	فطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا	فعسى باجتماعنا سوف يقضي

فلما وصل إليهن، قلن: السفر، لا نأمن غوائله على القرب، فكيف وقد حالت بيننا بحار ومفاوز، ونحن حُرَم، وقد آمننا هؤلاء القوم على معرفتهم بمكاننا منه فحسبنا أن نتملّى المسرّة بعزّةٍ وعافيةٍ.

فانصرف بكتابهنّ، وبعثن إليه بأعلاقٍ نفيسةٍ من ذخائر الخلافة فسُرّ بها الأمير عبد الرحمن، وقضى لرأيهنّ بالرجاحة، ثم وصل بعدُ كتاب آخر منهنّ من الشام، وبهدايا وتحفٍ منها: رُمّان من رُصافة جدّهم هشام، فسُرّ به الأمير عبد الرحمن.

ورأى عبد الرحمن نخلة مفردة بالرصافة عنده، فهاجمت شجنه، وتذكّر وطنه فقال:

تبدّت لنا وسط الرُّصافةِ نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرّب والنوى	وطول انثنائي عن بنيّ وعن أهلي
نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبة	فمثلك في الإقصاء والمنتأى مِثلي
سقتك غوادي المُزن من صوبها الذي	يسُحُّ وتستمري السّماكين بالوبل

وقال سعيد بن عثمان اللغوي المتوفى سنة ٤٠٠: كانت بقرطبة=

شبحه يُلاحقه إضافةً إلى أن أمه أم ولدٍ بربرية فقد يجد ملجأً هناك وربما لقي دعماً، فالبربر أخواله وهم كثيرون في المغرب، ولهم في الأندلس صولة إذ هم جماعة تنافس هناك على السلطان، ويُحسب لها حساب، يتقرّب منها المتنافسون ويتودّد إليها أصحاب المصالح.

كان عدد من موالي بني أمية يعيشون في الأندلس، وكان من أبرزهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد وهما من موالي عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

كانت السلطة في الأندلس لرجلين هما: يوسف بن

= جنّة اتخذها عبد الرحمن بن معاوية، كان فيها نخلة أدركتها.
وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية:

يا نخلَ أنتِ غريبة مثلي	في الغرب نائية عن الأهل
فابكي، وهل تبكي مُلمَّسَة	عجماء، لم تُطْبَع على خَبْل
لو أنها تبكي إذن لبكت	ماءَ الفرات ومنبتَ النخل
لكنها ذهلت وأذهلني	بُغضي بني العباس عن أهلي

كان حازماً، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه، لا يخلد إلى راحةٍ، ولا يكل الأمور إلى غيره، ولا ينفرد برأيه، شجاعاً، مقداماً، شديد الحذر، سخياً، لسناً، شاعراً، عالماً، يقارن بأبي جعفر المنصور في حزمه وشدته وضبطه الملك.
وبنى الرصافة بقرطبة تشبُّهاً بجده هشام باني الرصافة بالشام.
توفي سنة ١٧٢ بقرطبة، ودفن في قصرها.

عبد الرحمن الفهري[1]، وهو والي الأندلس، والصميل بن حاتم[2]. وكانت الولاة تتوالى على الأندلس، وتتبع دار الخلافة بدمشق، ويأتي تعيين الوالي من الخليفة بدمشق.

---

(١) يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرس القرشي: أمير الأندلس، وأحد القادة الدهاة الفصحاء، ولد في القيروان سنة اثنتين وسبعين، ودخل الأندلس، وكان يقيم بـ«إلبيرة»، فلما توفي سلامة بن ثوابة الجذامي في قرطبة سنة ١٢٩ اختلفت المضرية واليمانية فيمن يُولّونه، فعيّن أهل البلاد عليهم مُوقّتاً عبد الرحمن بن كثير اللخمي حتى يتمّ الاتفاق على أمير، ثم اتفق الفريقان المختلفان والجميع على يوسف بن عبد الرحمن الفهري، فكتبوا إليه يذكرون له إجماعهم على إمرته فجاءهم سنة ١٢٩ وأطاعوه، وخرج عليه بعض الأمراء بـ«أربونة» و«باجة» و«سرقسطة» فقضى على ثورتهم، واستمر إلى أن دخل الأندلس عبد الرحمن بن معاوية الأموي، فقاتله يوسف، فانهزم أصحابه، وقتله بعضهم في طليطلة، فبقي يوسف أميراً للأندلس قرابة عشر سنوات.

(٢) الصميل بن حاتم بن ذي الجوشن الضبابي: زعيم المضرية في الأندلس، قدم إلى الأندلس في أمداد الشام في عهد بني أمية، واختلف مع الوالي أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي فثارت جماعة الصميل وقبضت على أبي الخطار، وولوا ثوابة بن سلامة الجذامي، والسلطة والنفوذ للصميل. وأقام ذلك إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية الأموي الأندلس، فسُجن الصميل، ومات في السجن سنة ١٤٢.
كان الصميل أمياً، وله شعر.

الدعوة لعبد الرحمن بن معاوية:

بعث عبد الرحمن بن معاوية مولاه بدراً إلى الأندلس ومعه كتاب إلى أبي عثمان عبيد الله بن عثمان يُذّكره فيه أيادي بني أمية، ويعرّفه مكان عبد الرحمن من السلطان، وسعيه لنيله، ويسأله الالتقاء بمن يثق به من الموالي الأمويين، ويتلّطف في إدخاله إلى الأندلس حتى يتمكّن من إقامة الدولة هناك ويعده برفع درجته، ويطلب منه ضمّ اليمنية إليه لأنهم على خلافٍ مع العدنانية هناك.

عبر بدر إلى الأندلس سنة ١٣٦، والتقى بأبي عثمان، وسلّمه كتاب عبد الرحمن، فمشى أبو عثمان لما دعاه إليه.

بعث أبو عثمان إلى صهره عبد الله بن خالد ليبحثا الأمر الذي دعاهم إليه عبد الرحمن بن معاوية، ثم بعثا إلى يوسف بن بخت، وبحثوا الأمر من كل وجوهه، وعلى الرغم من خطورته إلا أنه وجدوه جديراً بالاهتمام، وخاصةً أنه من سادتهم فيجب الإخلاص والوفاء، فعليهم أن يبذلوا الجهد كله.

كان يوسف بن عبد الرحمن والي الأندلس يستعدّ لغزوةٍ، وكانوا سيخرجون معه في تلك الغزوة، فواتتهم

الفرصة، فاتصلوا باليمانية، وخاطبوا رؤساءهم، وكلّموا الصميل بن حاتم فلم يتردّد في تأييدهم. فلما تمّ لهم ذلك طلبوا من بدر مولى عبد الرحمن أن يبلغه أنهم أجابوه إلى طلبه، وأنهم ينتظرون مجيئه. فعاد بدر إلى مولاه بإجابتهم سنة ١٣٧، ولكن عبد الرحمن أجابه بقوله: ليس تطيب نفسي بدخول الأندلس إلا أن يكون معي واحد منهم، ورجع إليهم بدر بجوابه، فرأوا أن يأخذوا رأي الصميل بن حاتم، فأطلعوه على قصة عبد الرحمن بن معاوية، فقال لهم: أُروِّي في أمره.

وتمكّن الأمويون من الانفراد بالصميل، وتكلّموا معه في قصة عبد الرحمن بن معاوية، فوعدهم المساندة، فشكروا له على ذلك، ولم يكادوا ينصرفون من مجلسه حتى عاد وقال: تأمّلت الأمر فوجدته صعب المرام، فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما، فإن أحبّ غير السلطان، فله عندي أن يُواسيه يوسف، ويُزوّجه، ويحبوه، انطلقا راشدين.

انقطع أمل الأمويين من ربيعة ومضر، واتجهوا نحو اليمانية، وأخذوا يدعون كل يمنيٍ يُقابلونه، وكان اليمنيون قد وغرت صدورهم طلباً للثأر. وبينما كان الوالي يوسف بن عبد الرحمن ينظر في الهزيمة التي

لحقت بجيشه في «جلّيقية» في شمالي الأندلس إذ جاءه رسول من قبل ولده يخبره أن فتىً من قريشٍ، من ولد هشام بن عبد الملك قد نزل بساحل «المنكَّب» فاجتمع إليه موالي القوم والأموية.

انتشر الخبر في المعسكر، فانفضّ الناس عن يوسف، ولم يبق من جندٍ معه سوى القيسيين، فقال للصميل: ما الرأي؟. فقال: بادره الساعة، قبل أن يستفحل أمره، وانصرفوا إلى قرطبة.

دخول الأندلس:

نزل عبد الرحمن بن معاوية على ساحل الأندلس بـ«المنكَّب» في غرة ربيع الأول سنة ١٣٨، ثم ارتحل إلى بلدة «طُرُش» فأقبل إليه جماعة من الأمويين، وقد أُعدّ له ما يصلح لمثله من المركب والمنزل والملبس، وتوافد عليه الناس من كل مكانٍ، وعلم الوالي يوسف الفهري بذلك، فكتب إلى جماعة الأمويين مُحذّراً مُخوّفاً. فقالوا: إنما أقبل ابن معاوية إلينا، وإلى جماعة مواليه، يريد المال، وليس كما ظنّ الأمير، وليس كما رُفع له.

أراد يوسف بن عبد الرحمن أن يتألّف

عبد الرحمن بن معاوية ـ حسب نصيحة الصميل بن حاتم ـ فكتب إليه مما كتب: (فإن تريد المال، وسعة الجناب، فأنا أولى لك ممن لجأت إليه، أكْنُفُكَ وأصل رحمك، وأنزلك معي إن أردت، وبحيث تريد، ثم لك عهد الله وذمته في ألا أغدِر بك، ولا أُمكّن منك ابن عمي صاحب إفريقية ولا غيره)(١).

وأمر يوسف بن عبد الرحمن والي الأندلس بتأليف وفدٍ من: خالد بن يزيد كاتب يوسف، وعبيد الله بن علي، وعيسى بن عبد الرحمن الأموي، وبعث معهم بكسوةٍ وفرسين وبغلين ووصيفين وألف دينار، وسار القوم حتى بلغوا «أرش» في أدنى كورة رية.

وهناك اتفق الثلاثة على أن يبقى عيسى بن عبد الرحمن بالأموال والهدايا، فإذا وجدا عبد الرحمن بن معاوية متجاوباً وراغباً في الصلح أرسلا إلى عيسى رسولاً لتقديم الهدايا، وإذا لم يجدا شيئاً من القبول لدى عبد الرحمن فإن يوسف الفهري أحق بماله.

حضر الوفد إلى «طُرُش»، وسلّم خالد الكتاب إلى

---

(١) البيان المغرب: ابن عذارى المراكشي.

عبد الرحمن فأخذه منه وسلّمه إلى أبي عثمان وقال له: (اقرأه، وأجب فيه بما تعلم من رأينا) وأعجب بعض الحاضرين برأي يوسف وأثنوا عليه، وعارضه بعضهم، وقالوا: لا تقبل ذلك منه إلا أن يعتزل الملك ويُبايعك، وإلا حاكمه إلى الله، وقالوا: إنما يمكر بك، ولا يفي لك بشيء، لأن وزيره ومالك أمره الصميل، وهو غير مأمون.

أخذ أبو عثمان الكتاب، وتهيّأ للردّ عليه، فقال له خالد بن يزيد: يا أبا عثمان، لتعرقنّ إبطاك قبل أن تحير فيه جواباً، فغضب أبو عثمان، وضرب بالكتاب وجه خالد، وشتمه، ثم أمر به فأُخذ وكُبّل بالأغلال، ورجع عيسى وعبيد بما معهما من الهدايا.

كان ما فعله أبو عثمان بمثابة إعلان للحرب على الوالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري ومن معه. أخذ عبد الرحمن بن معاوية يُنظّم صفوف الذين بايعوه، ويُكاتب وجوه القوم، فاجتمع حوله ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين، فوطّدوا العزم على القتال والموت دون عبد الرحمن بن معاوية، وعقدوا له لواءً.

سار عبد الرحمن بمن معه من إلبيرة إلى ريّة فشذونة فإشبيلية فكان يجد في مسيره التأييد، فقد خرج

من إلبيرة في ستمائة فارس، وخرج من ريّة بألفين، ومن إشبيلية بثلاثة آلاف فارس. ثم اتجه عبد الرحمن نحو قرطبة، وكان قد مرّ على شذونة يوم عيد الفطر، وخُطب له على المنبر. فلما علم يوسف الفهري بسير عبد الرحمن إلى قرطبة خرج إليه.

أراد عبد الرحمن الحيلة فأوقد النار في معسكره ليظنّ يوسف أن عبد الرحمن مقيم، وانسلّ باتجاه قرطبة ليدخلها قبل أن يدرك يوسف الحيلة، ولم يقطع مسافةً حتى أُخبر يوسف بالحيلة فأسرع الآخر نحو قرطبة وأخذا يتسابقان إليها، والنهر يحجز بينهما.

توقّف كلا الفريقين يوم الخميس، وكان يوم عرفة، وسيكون اليوم التالي يوم الجمعة يوم عيد الأضحى، ونقصت مياه النهر، وعرض يوسف الصلح حقناً لدماء المسلمين، وتظاهر عبد الرحمن بقبول ذلك، وقطع النهر إلى الجانب الآخر حيث يوسف وجيشه، فلم يتعرّض له يوسف بل سمح له أن يُعسكر بجواره، واختلفت الرسل بين المعسكرين، وأمر يوسف بإعداد الموائد لكلا العسكرين، وبات الناس لا يشكّون بإتمام الصلح بين الفريقين.

فلما أصبح الصباح أعلن عبد الرحمن أنه لن يقبل

صلحاً، ولا يعترف بإمارة أحدٍ، ولا بمفاوضته إلا أن يعترف له بالإمارة، وهنا اشتبك الفريقان، وجرت معركة عنيفة انتهت بهزيمة يوسف هزيمة شنعاء قُتل فيها ولد يوسف وولد الصميل بن حاتم، ودخل عبد الرحمن بن معاوية قرطبة دخول الفاتحين، وجلس في قصر مغيث، وأصبح أمير البلاد من غير منازعٍ.

هُزم يوسف إلى جبل قرطبة بعد محاولته دخول القصر واعتراض عبد الأعلى بن عوسجة له ومنعه. ثم انطلق يوسف والصميل إلى غرناطة واعتصما فيها.

وفي سنة ١٣٩ أعدّ عبد الرحمن بن معاوية جنده، وسار بهم إلى غرناطة، وألقى عليها الحصار وفيها يوسف الفهري والصميل بن حاتم، وطال الحصار، واشتدّ الأمر على من فيها، فطلب يوسف الأمان ويقدّم ابنيه رهينةً، فقبل منه عبد الرحمن، وكذا فعل الصميل بن حاتم.

وانصرفوا جميعاً إلى قرطبة حيث اشترط عليهم الأمير عبد الرحمن ذلك على أن ينزل يوسف الفهري في منزله، وينزل الصميل في داره بالربض.

وفي سنة ١٤١ هرب يوسف من قرطبة بتحريضٍ

من أصحابه، وراسل أعوانه فاجتمع إليه ما يقرب من عشرين ألفاً، وتحرّك يوسف يريد الأمير عبد الرحمن الذي خرج من القصر وتقدّم إلى المدوّر، فسار يوسف بمن معه نحو إشبيلية، فتحصّن فيها واليها من قبل عبد الرحمن وهو عبد الملك بن عمر بن مروان، وكتب إلى ولده عبد الله والي «موررور»[1] يستقدمه لفكّ حصار يوسف عنه.

خشي يوسف أن يقع بين عبد الملك من جهةٍ وولده عبد الله من جهةٍ ثانيةٍ، ثم تأتي قوة عبد الرحمن بن معاوية من جهةٍ ثالثةٍ، وعندئذٍ تكون الطامة، لذا رأى البدء بأحدهم، وقرّر التخلّص من عبد الملك، لكنه هُزم أمام عبد الملك ففرّ إلى «طليطلة»، فأدركه عبد الله بن عمر الأنصاري، وقتله، ولما وصل خبره إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية قتل الرهينة عنده من ولده. وأُخرج عبد الرحمن بن يوسف من السجن وقُتل، وكذا قُتل الصميل بن حاتم في السجن وذلك سنة ١٤٢.

---

(١) موررور: مدينة إلى الجنوب الغربي من إشبيلية وعلى بعد ٦٠ كيلومتراً منها.

الحركات في الأندلس:

١" ـ تحرّك هشام بن عبد ربه الفهري في طليطلة فسار إليه الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فحاصره وشدّد عليه حتى طلب هشام الأمان والصلح وسلّم ابنه رهينةً، فقبل منه عبد الرحمن وانصرف عنه. لم يفِ هشام بالعهد بل نكث وتحرّك ثانيةً فعاد إليه عبد الرحمن، ووصل إلى طليطلة سنة ١٤٦، فدعاه هشام إلى الرجوع، ولما لم يرجع إلى رشده وبقي على غيّه يركب رأسه، ضرب عبد الرحمن عنق ابن هشام الرهينة عنده. وتركه وشأنه إذ جاءه ما هو أشدّ منه خطراً وهو العلاء بن مغيث اليحصبي، فلما انتهى عبد الرحمن من العلاء، أرسل إلى هشام مولاه بدراً في جيش كثيفٍ، ومع بدر تمام بن علقمة. فحاصرا طليطلة حصاراً شديداً حتى سئم أهل طليطلة الحصار فكاتبوا بدراً وتماماً، وسألوهما الأمان، وأن يسلّموا إليهما هشام بن عبد ربه، وقادته، فقبلا منهم ذلك، وأسلموهم إليهما، وخرج بهم تمام يريد قرطبة مقرّ الأمير عبد الرحمن، فقابله في الطريق عاصم بن مسلم، فأخذ منه الأسرى، وطلب منه العودة إلى طليطلة ليكون والياً عليها من قبل الأمير، أما بدر فقد رجع إلى قرطبة.

٢" ـ تحرّك العلاء بن مغيث اليحصبي الذي كان بإفريقية عندما استطاع الأمير عبد الرحمن بن معاوية من السيطرة على الأندلس، فكتب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى العلاء كتاباً يدعوه فيه إلى السير إلى الأندلس والخروج على عبد الرحمن بن معاوية فامتثل العلاء، وكان شجاعاً، فدخل الأندلس سنة ١٤٦، وثار في باجة، إذ لبس شعار العباسيين وهو السواد، ودعا للمنصور، وخطب له، فتبعه أناس كثيرون، وشعر عبد الرحمن بالخطر، فخرج من قرطبة إلى قرمونة، وتحصّن بها، فسار إليه العلاء، وحاصره في قرمونة قرابة شهرين، وأظهر عبد الرحمن الثبات والإصرار على المقاومة رغم سوء حالته الصحية، ونفاد المؤونة لديه، فانخذل عن العلاء كثير من أعوانه، فوجدها عبد الرحمن فرصةً فشدّ من عزمه، وشجّع أصحابه وكانوا نحواً من سبعمائةٍ، وخرجوا للعلاء فمزّقوا جيشه، وقتلوا منه ما يقرب من سبعة آلافٍ، وقُتل العلاء وخيرة أصحابه في هذه المعركة. ووصل الخبر أبي جعفر المنصور، فقال: الحمد لله الذي جعل البحر بيني وبين هذا الشيطان. وأطلق على عبد الرحمن اسم «صقر قريش».

٣" ـ تحرّك عبد الغافر اليماني في إشبيلية، وتغلّب

على ما جاورها حتى اقترب من قرطبة، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن، فخالفه عبد الغافر وسار إلى قرطبة ظنّاً منه أنها خالية غير أن الأمير عبد الرحمن قد سبقه إليها.

عسكر عبد الغافر على وادي «قَبْس» ينتظر الأمير عبد الرحمن ليخرج إليه كي ينازله، غير أن الأمير عبد الرحمن قد اتخذ السياسة حيث أخذ يستميل البربر إليه ويُغريهم، وهم غالبية أعوان عبد الغافر، فلما استمال أكثريتهم انقضّ الأمير عبد الرحمن بجيشه على جند عبد الغافر فشتتهم، وأعمل فيهم السيف فقتل منهم ما يقرب من ثلاثين ألفاً، وفرّ عبد الغافر تحت جنح الظلام إلى «لقنت».

٤" ـ وثار حيوة بن ملامس، وقد جمع حوله حشداً عظيماً، وتغلّب على إشبيلية وإستجه، وسيطر على أكثر الجزء الغربي من البلاد، فانبرى له الأمير عبد الرحمن، واشتدّ القتال بينهما، وكاد الأمير أن يُهزم لولا أن تجلّد وصبر، وقاتل بحماسةٍ فانهزم حيوة بن ملامس، وفرّ، ثم كتب يُبدي الاعتذار، ويطلب العفو.

٥" ـ وثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري سنة ١٤٩ بمدينة لَبْلَة مطالباً بثأر من قتل مع العلاء بن مغيث

اليحصبي، وسيطر على إشبيلية، وتحصّن بإحدى قلاعها (قلعة زَعَواق)، فسار إليه الأمير عبد الرحمن فحاصره في إشبيلية.

استنجد المطري بعتّاب بن علقمة اللخمي في مدينة شذونة، فاستجاب له عتّاب وأمدّه بما يحتاج إليه، فأرسل عبد الرحمن مولاه بدراً مع قوةٍ حالت بين المطري وبين المدد. وطال الحصار، وضاق الأمر على السكان، فقام بعض الجند فقتلوا المطري وأعوانه، وأرسلت الأخبار إلى الأمير، فرفع الحصار عن إشبيلية.

ثم سار الأمير إلى عتّاب بن علقمة، فحاصره في شذونة حتى استأمن والناس بعد أن اشتدّ الحصار، وعاد الأمير إلى قرطبة.

٦" - وخرج عبد الرحمن بن خراشة الأسدي بـ«جيّان» فأرسل إليه الأمير قوةً فتخلّى عن ابن خراشة جمعُه، فطلب الأمان فأمنه.

٧" - ثار أبو الصباح بن يحيى اليحصبي احتجاجاً على الأمير حيث كان قد ولّاه إشبيلية، ثم عاد فعزله عنها إذ شكّ فيه أنه كان قد ساعد المطري سعيد اليحصبي عندما قام بحركته. فلما عُزل أبو الصباح جمع

حوله أهل الخلاف وأعلن خلع الطاعة، غير أن الأمير عبد الرحمن قد وجّه له مولاه تماماً ملاطفاً فقدم أبو الصباح إلى قرطبة ومعه أربعمائةٍ من رجاله، غير أن قدومهم كان على غير عهدٍ من الأمير، فلما دخلوا على الأمير عاتبه الأمير عتاباً رقيقاً، ولكن أبا الصباح أغلظ له بالجواب، فأمر بقتله فتفرّق عنه أعوانه.

٨" ـ ثار البربر بـ«شَنْت» من كورة «رَيَّة» وذلك سنة ١٥٠، فبعث إليهم الأمير عبد الرحمن مولاه بدراً، فحاربهم، فخضعوا، وأدّوا إليه الغرامة الحربية، ولكنه حمل معه من توقّع منهم الطمع وسوء النيّة.

٩" ـ وفي سنة ١٥٢ ثار رجل بربري ادّعى أنه من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب، ولما كانت أمه تسمّى فاطمة لذا عُرف بالفاطمي، فاجتمع الناس حوله عاطفةً. فخرج إليه الأمير بنفسه من قرطبة، وترك فيها ولي عهده هشاماً، فما علم الفاطمي بمسير الأمير حتى فرّ والتحق بالجبال، فرجع الأمير إلى قرطبة، وسار الفاطمي إلى «شَنْت» في كورة «رَيَّة» فقتل عاملها، وسيطر عليها، فزاد خطره، وكلما أرسل الأمير إليه قوةً لقتاله لاذ بالجبال، ويقيت حركته حتى سنة ١٦٠ حيث لقي حتفه قتيلاً في صراعه مع الأمير عبد الرحمن بيد أحد أعوانه.

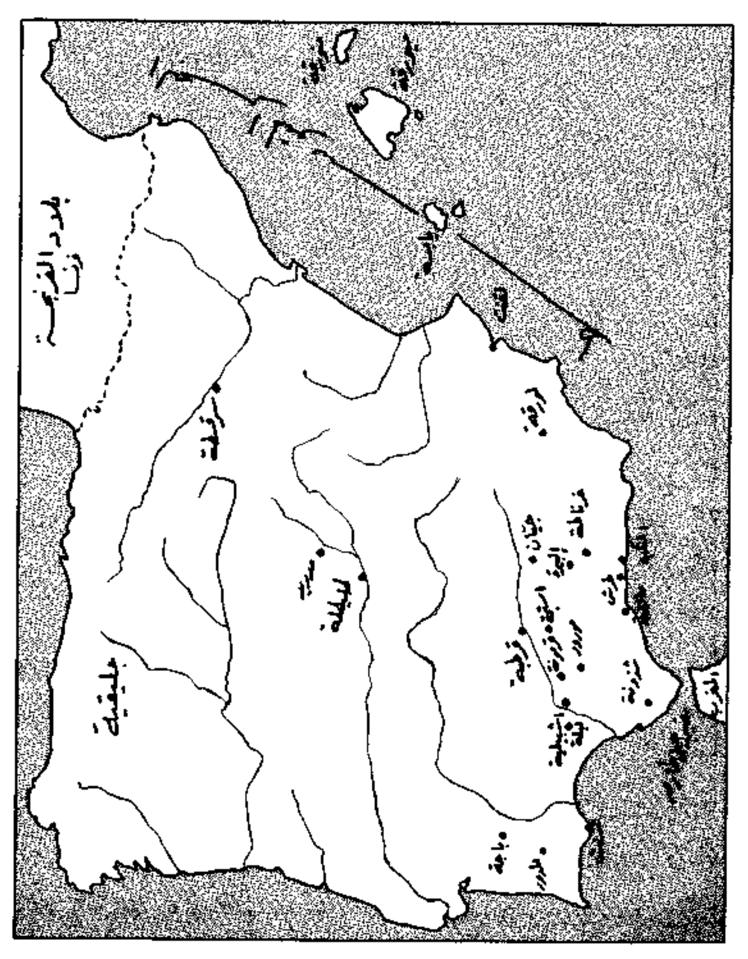
١٠" ـ وفي سنة ١٥٥ كان الأمير عبد الرحمن بـ«شَنْت» في كورة «رَيّة» فقدم عليه رأس البربر في شرقي الأندلس يُدعى «هلال» من أبناء «المدبوني» فكتب له الأمير عهداً على قومه، وعهد إليه أيضاً بقتال الفاطمي، فيكون بذلك قد فرّق كلمة البربر لأن هلالاً والفاطمي كلاهما من البربر.

١١" ـ وفي سنة ١٥٦ رجع عبد الغافر اليحصبي إلى خلع الطاعة فكتب بدر مولى الأمير من قرطبة إلى الأمير الذي كان في شرقي الأندلس فأسرع الأمير إلى إشبيلية، وقاتل عبد الغافر الذي فرّ إلى المشرق بعد أن قُتل من أصحابه مقتلة عظيمة.

والخلاصة فإن وصول عبد الرحمن بن معاوية إلى حكم الأندلس بهذه الطريقة السهلة مع أنه غريب عنها قد شجّع أصحاب الأطماع للقيام بتلك الحركات التي رأيناها، وكل يحلم بالوصول إلى ما وصل إليه عبد الرحمن، غير أنه لم يكن واحد منهم بمثل همّته ومستوى تحمّله وشبه رجولته وكفء عزيمته وعدل شجاعته ليتغلّب عليه بعد أن أصبح الأمير وليؤدّي الدور الذي قام به.

وهذه الحركات قد أضعفت قوة الأمة في تلك الأرجاء، هذا من جهة ما أبادت وأتلفت، ومن ناحيةٍ

ثانيةٍ فقد وجّهت إمكاناتها نحو أبنائها بدلاً من أن تُوجّهها إلى الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى دين الله، ويجب أن تُؤخذ هذه النقطة دائماً بعين الاعتبار.



مصوّر رقم [٣]

المُحتوى

الباب الثاني

الأندلس

الموضوع	الصفحة